الوارث

٩٨

مجلة شهرية ثقافية دينية

تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

الأمانة العامة ... المقدسة

ISSN 2518-5624

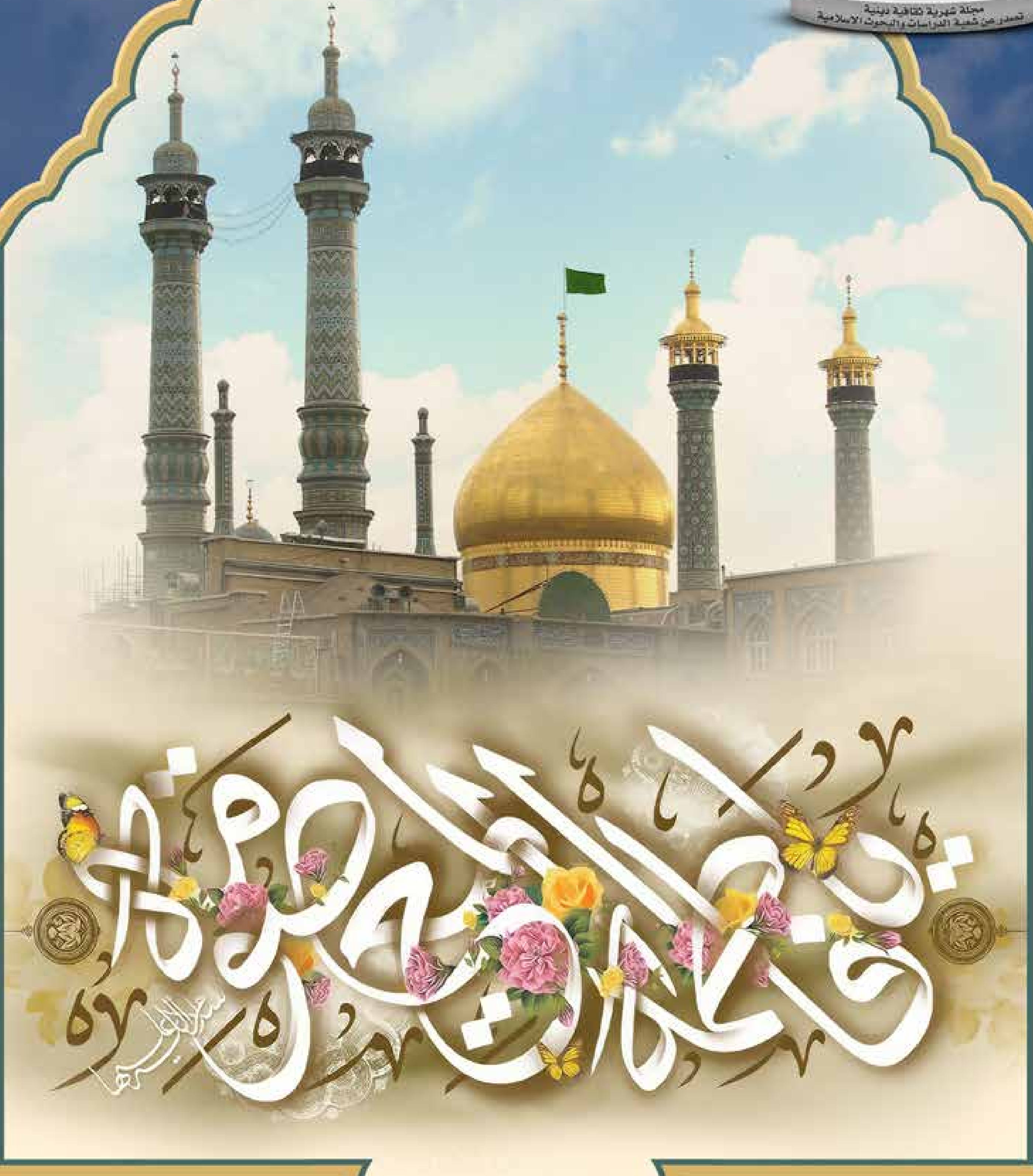

ذي القعدة - ذي الحج ١٤٣٨هـ
آب - أيلول ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإشراف العام/رئيس التحرير
الشيخ علي الفتلاوي
سكرتير التحرير
محمد رزاق صالح
هيأة التحرير
صفوان ضياء جمال الدين
محمد فاضل الزبيدي
أحمد محسن المؤذن
حسين عدنان رضيوي
التدقيق اللغوي
ضياء قاسم عبدالعال
التصميم والاخراج الفني
علي طالب ماميثة

إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق -وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١
هاتف: ٣٢٦٤٩٩-بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم info@imamhussain-lib.org

٤-بعض أسباب قيام الإمام الحسين عليه السلام

١٤- ولكم في رسول الله .....

١٠- السلفية بين التطرف وتوظيف النص ....

١٩- فضّل الله المجاهدين على القاعدين

١٦- أهل الكتاب في ظل حكومة الإمام علي عليه السلام

٢٤- موقف الشريعة من أبي طالب عليه السلام

٤٦-زواج النور من النور

٤٠- العيون تذرف الدموع على....

٥٢-هل للتائب مناجاة خاصة؟

الخز للخلق والمسح للحق

كثيرة هي فضائل الإمام الرضا عليه السلام وكثيرة سجاياه الحميدة، تارة يؤاكل العبيد ولا يستنكف من مخالطتهم، وعندما يطلب منه أن يعزل لهم مائدة خاصة بهم يرد الإمام بإنكار على صاحب الطلب بقوله: (إنّ الرب تبارك وتعالى واحد، والأُم واحدة، والجزاء بالأعمال) وكان يتحيّن الفرص ليعتقهم حتى نقل عنه: أنّه اعتق ألف مملوك، وتارة أخرى يكرم الضيف ويغدق عليه بالنعمة والإحسان، بل يبادر بنفسه الشريفة لخدمته، حتى أنّ الرواة ذكروا (أنّ الإمام عليه السلام استضافه شخص، فأخذ الإمام يحدثه في بعض الليل فتغيّر السراج فأراد الضيف إصلاح السراج فوثب الإمام عليه السلام إليه وأصلحه بنفسه وقال لضيفه: إنّا قوم لا نستخدم أضيافنا).

وأما ما يذكر من كرمه فقد أنفق كل ما عنده على الفقراء فأنكر عليه الفضل بن سهل وقال له إنّ هذا المغرم فرد الإمام عليه السلام: بل هو المغنم لا تحدث مغرماً ما ابتغيت به أجراً وكرماً). عندما نقف على إخلاصه في التقرب إلى الله تعالى وزهده في غير ذلك نجده عليه السلام يجلس على حصيرة في الصيف، وعلى مسح (كساء من شعر) في شتاء، ويلبس الغليظ من الثياب تحت ثيابه، ولقد نقل أرباب التاريخ أنّ سفيان الثوري التقى الإمام عليه السلام وكان الإمام قد لبس ثوباً من خز فأنكر عليه سفيان ذلك وقال له: لو لبست ثوباً أدنى من هذا؟ فأخذ الإمام يد سفيان برفق وقال: (يا سفيان الخز للخلق، والمسح للحق). أي أنّ اللباس الظاهر هو للناس كلي لا يستصغره الخلق عندما يرون لباسه البسيط، والمسح ولباس الشعر الغليظ والخشن فهو لله تعالى الحق الذي يعلم الظاهر والباطن، فما أحوجنا إلى الاقتداء بشمس الشموس المدفون بأرض طوس أبي الحسن الرضا صلوات الله عليه.

المشرف العام

بعض أسباب قيام الإمــام الحسين عـلـيـه الـسـلام

السبب الأول: الدفاع عن المظلومين

ذهبت نفس الإمام الحسين أسى على ما عانته الشيعة - في عهد معاوية - من ضروب المحن والبلاء، فقد أمعن معاوية في ظلمهم وإرهاقهم وفتك بهم فتكاً ذريعاً، وراح يقول للإمام الحسين: (يا أبا عبد الله علمت أنا قتلنا شيعة أبيك فحنطناهم وكفناهم وصلينا عليهم ودفناهم).(تاريخ اليعقوبي:٢/٢٠٦)

وقد بذل قصارى جهوده في تصفية الحساب معهم.

جرائم ارتكبها معاوية بحق من يوالي علياً عليه السلام

١. إعدام أعلام شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام أمثال (حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق الخزاعي وصيفي ابن فسيل وغيرهم).

٢. صلب الموالين لأمير المؤمنين علي عليه السلام على جذوع النخل.

٣. دفن الشيعة من النساء والرجال والصغار والكبار أحياءً.

٤. هدم دور الشيعة في الكوفة والبصرة.

٥. عدم قبول شهادة من يوالي علياً عليه السلام في أي قضية.

٦. حرمان الشيعة من العطاء.

٧. ترويع النساء والأطفال من الشيعة.

٨. إذاعة الذعر والخوف في جميع أوساطهم.

٩. إبعادهم عن ديارهم وأوطانهم إلى الصحراء.

وغير ذلك من صنوف الإرهاق الذي عانوه.

وقد ذعر الإمام الحسين عليه السلام مما حل بأُمّة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، فبعث بمذكرته الخطيرة لمعاوية التي سجل فيها جرائم ما ارتكبه في حق الشيعة.

لقد كانت الإجراءات القاسية التي اتخذها الحكم الأُموي ضد الشيعة من أسباب ثورته فهب لإنقاذهم من واقعهم المرير، وحمايتهم من الجور والظلم.

السبب الثاني: مواجهة المخطط الأُموي لمحو ذكر أهل البيت عليهم السلام

من ألمع الأسباب التي ثار من أجلها سيد الشهداء عليه السلام هو أنّ الحكم الأُموي الجائر قد جهد على محو ذكر أهل البيت عليهم السلام في المجتمع الإسلامي واستئصال مآثرهم ومناقبهم وقد استخدم معاوية في هذا السبيل أخبث

الوسائل منها:

١. افتعال الأخبار في الحط من شأنهم وشأن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

٢. استخدام أجهزة التربية والتعليم لتربية الأجيال على بغض أهل البيت عليهم السلام.

٣. معاقبة من يذكر مناقبهم بأقصى العقوبات وأشدّ الجرائم.

٤. سبّ أهل البيت عليهم السلام على المنابر والمآذن وخطب الجمعة أكثر من (٧٠) عاماً.

٥. أمر الكذّابة بالرواية كذباً عن النّبي صلى الله عليه وآله في حق مخالفي أهل البيت عليهم السلام.

٦. تضعيف منزلة أهل البيت عليهم السلام بين الناس، وحثّ المجتمع بتقديس رموز الكفر والضلال.

وقد عقد الإمام الحسين عليه السلام مؤتمره السياسي الكبير في مكة المكرمة وأحاط المسلمين علماً بالإجراءات الخطيرة التي اتخذها معاوية إلى إزالة أهل البيت عليهم السلام عن الرصيد الإسلامي.

وكان عليه السلام يتحرّق شوقاً إلى الجهاد، ويود أن الموت قد وافاه ولا يسمع سبّ أبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام على المنابر والمآذن.

السبب الثالث: إيقاف تحطيم القيم الإسلامية

وعمد الأُمويون إلى تدمير القيم الإسلامية، فلم يعد لها أي ظل على واقع الحياة الإسلامية منها ما جاء:

أولاً: الوحدة الإسلامية

أشاع الأُمويون الفرقة والاختلاف بين المسلمين فأحيوا العصبيات القبلية، وشجعوا الهجاء بين الأسر والقبائل العربية حتى لا تقوم وحدة بين المسلمين، وقد شجّع يزيد الأخطل على هجاء الأنصار الذين آووا النبي صلى الله عليه وآله وحاموا عن دينه أيام غربة الإسلام ومحنته.

لقد كانت الظاهرة البارزة في شعر ذلك العصر هي الهجاء اللاذع فقد قصر الشعراء مواهبهم الأدبية على الهجاء والتفنن في أساليب القذف والسب للأُسر التي كانت تنافس قبائلهم، وقد خلا الشعر الأُموي عن كل نزعة إنسانية أو مقصد اجتماعي، وتفرد بظاهرة الهجاء، وقد خولف بذلك ما كان ينشده الإسلام من الوحدة الشاملة بين أبنائه.

ثانياً: عدم المساواة

هدم الأمويون المساواة العادلة التي أعلنها الإسلام، فقدموا العرب على الموالي وأشاعوا جواً رهيباً من التوتر والتكتل السياسي بين المسلمين، وكان من جراء ذلك أن ألّف الموالي مجموعة من الكتب في نقض العرب وذمّهم، كما ألّف العرب كتباً في نقص الموالي واحتقارهم، وعلى رأس القائمة التي أثارت هذا النحو من التوتر بين المسلمين زياد بن أبيه فقد كان حاقداً على العرب، وقد عهد إلى الكتاب بانتقاصهم.

وقد خالفت هذه السياسة النكراء روح الإسلام الذي ساوى بين المسلمين في جميع الحقوق والواجبات على اختلاف قومياتهم.

ثالثاً: محاربة الحرية

لم يعد أيّ مفهوم للحرية ماثلاً على مسرح الحياة طيلة الحكم الأموي فقد كانت السلطة تحاسب الشعب حساباً منكراً وعسيراً على كل بادرة لا تتفق مع رغباتها، حتى لم يعد في مقدور أي أحد أن يطالب بحقوقه، أو يتكلم بأي مصلحة للناس فقد كان حكم النطع والسيف هو السائد في ذلك العصر.

لقد ثار أبو الأحرار لينقذ الإنسان المسلم وغيره من الاضطهاد الشامل ويعيد للناس حقوقهم التي ضاعت في أيام معاوية ويزيد.

السبب الرابع: انهيار المجتمع

انهار المجتمع في عصر الأمويين، وتحلل من جميع المبادئ الإسلامية أمّا أهم العوامل التي أدت إلى انهياره فهي:

١. حرمان المجتمع من التربية الروحية، فلم يحفل بها أحد من الخلفاء سوى الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد عني بها عناية بالغة إلاّ أنّه قد مني بالأحداث الرهيبة التي منعته من مواصلة مسيرته في إصلاح الناس وتقويم أخلاقهم.

٢. إمعان الحكم الأُموي في إفساد المجتمع وتضليله، وتغديته بكل ما هو بعيد عن واقع الإسلام وهديه.

إنّ هذين العاملين من أهم العوامل التي أدت إلى انهيار ذلك المجتمع، أمّا مظاهر ذلك التحلل والانهيار فهي:

أ: نقض العهود

لم يتأثم أغلب أبناء ذلك المجتمع من نقض العهود

والمواثيق، فقد كان عدم الوفاء بها أمراً عادياً، ومتسالماً عليه، وقد شجعهم على ذلك (كسرى العرب)، فقد أعلن في خطابه بالنخيلة أنّ كل ما شرطه على نفسه للإمام الحسن عليه السلام لا يفي به، وعمد إلى نقض جميع الشروط التي أعطاها له.

وكانت هذه الظاهرة من أبرز ذاتيات الكوفيين، فقد أعطوا للإمام الحسين عليه السلام أعظم العهود والمواثيق على مناصرته، ومناجزة عدوه إلاّ أنّهم خانوا ما عاهدوا عليه الله فخذلوه وقتلوه.

ب: الكذب والافتراءات

عدم التحرج من الكذب ومن الأمراض التي أصيب بها ذلك المجتمع فقد مني الكوفيون بذلك بصورة خاصة، فإنّهم لما أحاطوا بالإمام الحسين عليه السلام - يوم الطف - لقتله، وجه عليه السلام سؤالاً إلى قادة الجيش الذين كاتبوه بالقدوم إليهم فقال: «يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا زيد بن الحرث، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار، واخضر الجناب وإنّما تقدم على جند لك مجندة».

ولم تخجل تلك النفوس القذرة من تعمد الكذب فأجابوه مجمعين: (لم نفعل) وبهر الإمام فاندفع يقول: «سبحان الله!! بلى والله لقد فعلتم».

وقد جروا إلى المجتمع بما اقترفوه من الآثام كثيراً من الويلات والخطوب، وتسلح بهم أئمة الظلم والجور إلى اضطهاد المسلمين وإرغامهم على ما يكرهون.

ج: شراء النفوس

عرض الضمائر للبيع فقد كان من أحط ما وصل إليه ذلك المجتمع من الانحراف والزيغ عرض الضمائر والأديان لبيعها على السلطة جهاراً.

دال: الإقبال على اللهو

أقبل المجتمع على اللهو والدعارة، وقد شجّع الأُمويون بصورة مباشرة حياة المجون لزعزعة العقيدة الدينية من النفوس، وصرف الناس عما ينشده الإسلام من التوازن في سلوك الفرد.

هذه بعض الأمراض التي ألمت بالمجتمع الإسلامي آنذاك، وقد أدت إلى تسيّبه، وانهيار قيمه وقد ثار الإمام الحسين عليه السلام ليقضي على التذبذب والانحراف الذي منيت به الأمة.

السبب الخامس: الدفاع عن حقوقه الشرعية

انبرى الإمام الحسين عليه السلام للجهاد دفاعاً عن حقوقه التي نهبها الأُمويون واغتصبوها، وأهمها - فيما نحسب - ما يلي:

١. خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله

أوضح الإمام الحسين عليه السلام - كأبيه - في خطبه الشريفة أنّ العترة الطاهرة أولى بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وأحق بمركزه من غيرهم، لأنّهم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بهم فتح الله، وبهم ختم - على حد تعبيره - وقد طبع على هذا الشعور وهو في غضون الصبا، فقد انطلق إلى عمر وكان على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فصاح به: «انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك».

فلم ينفرد الإمام الحسين بهذا الشعور وإنما كان سائداً عند أئمة أهل البيت عليهم السلام فخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله من حقوقهم لأنّهم ألصق الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وأكثرهم وعياً لأهدافه.

وهناك شيء آخر جدير بالاهتمام وهو أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان هو الخليفة الشرعي بمقتضى معاهدة الصلح التي تم الاتفاق عليها، فقد جاء في بنودها ليس لمعاوية

أنّ يعهد بالأمر إلى أحد من بعده والأمر بعده للحسن، فإنْ حدث به حدث فالأمر للحسين. (حياة الإمام الحسن عليه السلام:٢/٢٨٦)

وعلى هذا، فلم تكن بيعة يزيد شرعية، فلم يخرج الإمام الحسين عليه السلام على إمام من أئمة المسلمين - كما يذهب لذلك بعض ذوي النزعات الأُموية والنفوس المريضة - وإنّما خرج عليه السلام على ظالم مغتصب للخلافة.

٢. الخمس

والخمس حق مفروض لأهل البيت عليهم السلام نص عليه القرآن وتواترت به السنة، ولكن الحكومات السابقة تناهبته فلم تؤد لهم منه شيئاً لشل حركة المقاومة عند العلويين، وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى ذلك في حديثه مع أبي هرة الذي نهاه عن الخروج على بني أُمية، فقال عليه السلام له: «ويحك أبا هرة إنّ بني أُمية أخذوا مالي فصبرت».

وأكبر الظن أنّ المال الذي أخذته بنو أُمية منه هو الخمس، وقد أعلن ذلك دعبل الخزاعي في رائعته التي أنشدها أمام الرضا عليه السلام في خراسان بقوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسما
وأيديهم من فيئهم صفرات

والتاع الإمام الرضا عليه لاسلام فجعل يقلب يديه وهو يقول: «إنّها - والله - لصفرات».

وقد أقض مضاجع العلويين منعهم من الخمس باعتباره أحد المصادر الرئيسية لحياتهم الاقتصادية.

ولعل الإمام الحسين عليه السلام قد استهدف بنهضته إرجاع هذا الحق السليب لأهل البيت عليهم السلام.

السبب السادس: الأمر بالمعروف

من أوضح الأسباب التي ثار من أجلها أبو الأحرار عليه السلام إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنّهما من مقومات هذا الدين، والإمام بالدرجة الأُولى مسؤول عنهما.

وقد أدلى عليه السلام بذلك في وصيته لأخيه ابن الحنفية التي أعلن فيها عن أسباب خروجه على يزيد، فقال عليه السلام: «إنّي لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا ظالماً، ولا مفسداً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

لقد انطلق عليه السلام إلى ميادين الجهاد ليقيم هذا الصرح الشامخ الذي بنيت عليه الحياة الكريمة في الإسلام، وقد انهارت دعائمه أيام الحكم الأُموي فقد أصبح المعروف في عهدهم منكراً، والمنكر معروفاً، وقد أنكر عليهم الإمام في كثير من المواقف، والتي كان منها خطابه الرائع أمام المهاجرين والأنصار، فقد شجب فيه تخاذلهم عن نصرة الحق و دحض الباطل، وإيثارهم للعافية.

ومما قاله عليه السلام في هذا المجال أمام أصحابه وأهل بيته عليهم السلام يوم الطف: «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه».

لقد آثر الموت على الحياة، لأنّه يرى الحق قد تلاشى والباطل قد استشرى.

السبب السابع: إماتة البدع

عمد الحكم الأُموي إلى نشر البدع بين المسلمين، التي لم يقصد منها إلا محق الإسلام، وإلحاق الهزيمة به، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك في رسالته التي بعثها إلى أهل البصرة يقول فيها: «فإنّ السنة قد أُميتت والبدعة قد أُحييت». (الطبري:٦/٢٠٠)

لقد ثار عليه السلام ليقضي على البدع الجاهلية التي تبناها الأُمويون، ويحيي سنة جده التي أماتوها، فكانت نهضته الخالدة من أجل إماتة الجاهلية ونشر راية الإسلام.

السبب الثامن: العهد النبوي

استشف النبي صلى الله عليه وآله من وراء الغيب ما يمنى به الإسلام من الأخطار الهائلة على أيدي الأُمويين، وأنّه لا يمكن بأي حال تجديد رسالته وتخليد مبادئه إلا بتضحية ولده الإمام الحسين عليه السلام فإنّه هو الذي يكون الدرع الواقي لصيانة الإسلام فعهد إليه بالتضحية والفداء، وقد أدلى عليه السلام بذلك حينما عدله المشفقون عليه عن الخروج إلى العراق فقال لهم: «أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر وأنا ماض إليه».

ويقول المؤرخون: إنّ النبي صلى الله عليه وآله كان قد نعى الحسين عليه السلام إلى المسلمين وأحاطهم علماً بشهادته

وما يعانيه من أهوال المصائب، وكان - باستمرار - يتفجّع عليه ويلعن قاتله، وكذلك أخبر الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام بشهادته وما يجرى عليه.

وكان الإمام الحسين عليه السلام على علم وثيق بما يجري عليه فقد سمع ذلك من جده وأبيه وقد أيقن بالشهادة، فمشى إلى الموت بعزم وتصميم امتثالاً لأمر جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله الذي عهد إليه بذلك.

السبب التاسع: العزة والكرامة

من الأسباب المهمة التي ثار من أجلها سيد الشهداء عليه السلام هو العزة والكرامة، فقد أراد الأُمويون إرغامه على الذل، والخنوع، فأبى إلاّ أن يعيش عزيزاً تحت ظلال السيوف والرماح، وقد أعلن سلام الله عليه ذلك يوم الطف بقوله: «ألا إنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منّا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله، ونفوس أبية، وأنوف حمية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام».

وقال عليه السلام: «إنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً».

لقد عانق الموت بثغر باسم في سبيل إبائه وعزته، وضحى بكل شيء من أجل حريته وكرامته.

السبب العاشر: غدر الأُمويين وفتكهم

لقد أيقن الإمام الحسين عليه السلام أنّ الأُمويين لا يتركونه، ولا تكف أيديهم عن الغدر والفتك به حتى لو سالمهم وبايعهم، وذلك لما يلي:

١. إنّ الإمام عليه السلام كان أبرز شخصية في العالم الإسلامي، وقد عقد له المسلمون في دخائل نفوسهم خالص الود والولاء لأنّه حفيد نبيهم وسيد شباب أهل الجنة وخامس أصحاب الكساء، ومن الطبيعي أنّه لا يروق للأُمويين وجود شخصية تتمتع بنفوذ قوي ومكانة مرموقة في جميع الأوساط فإنّها تشكل خطراً على سلطانهم وملكهم وحكومتهم.

٢. إنّ الأُمويين كانوا حاقدين على النبي صلى الله عليه وآله لأنّه وترهم في واقعة بدر، وألحق بهم الهزيمة والعار، كذلك بغضهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام لأنّه كسر شوكتهم في بدر وأحد والخندق، وكان يزيد يترقب الفرص للانتقام من أهل البيت النبي صلى الله عليه وآله ليأخذ ثارات بدر منهم، ويقول الرواة إنّه كان يقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً
ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم
وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا
خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم
من بني أحمد ما كان فعل

أثبت يزيد بن معاوية كفره وبغضه للنبي صلى الله عليه وآله بل شركه وكفره بالله، وعدم التزامه بالشريعة الإسلامية.

٣. إنّ الأُمويين قد عرفوا بالغدر ونقض العهود، فقد صالح الحسن عليه السلام معاوية، وسلم إليه الخلافة ومع ذلك فقد غدر معاوية به فدس إليه سمّاً فقتله، وأعطوا الأمان لمسلم بن عقيل فخانوا به.

وقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام إنّ بني أُمية لا يتركونه، قال عليه السلام لأخيه محمد ابن الحنفية: «لو دخلت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقتلوني»، وقال عليه السلام لجعفر بن سليمان الضبعي: «والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة - يعني قلبه الشريف - من جوفي».

فاختار عليه السلام أن يعلن الحرب ويموت ميتة كريمة تهز عروشهم وتقضي على جبروتهم وطغيانهم.

هذه بعض الأسباب التي قام سيد الشهداء عليه السلام من أجلها لمواجهة بني أُمية وطاغيتهم يزيد.

الشيخ القرشي

اتحاد العقل والقلب

إنّ سيد الشهداء عليه السلام باختياره قد تحمّل كلّ تلك المصائب والمحن، الشهادة وأسر الأهل والعيال. لأنّه وبشكل مستمر، حتّى يوم عاشوراء. كان قد عرض عليه أن يختار إمّا النصر والظفر أو لقاء الله والعهد والميثاق المأخوذ مع الله، لكنّه عليه السلام اختار بنفسه تلك المقامات العالية.

(الرحمة الواسعة) هي تجلٍّ لاتّحاد العقل والحب في قلوب رجال نفخ الله حّبه في عقولهم، كما ينفخ الروح في الجسد.

فكانوا في الصبر كالجبال الرّاسيات وفي الرّضا بقضاء ربّهم ذوي هِمَم عاليات.

وفي بذل النفس في سبيل إعلاء كلمة الحق وراية الهدى كالليوث الضاريات، قد أحكموا عَقْدَ الطاعة فأصبحوا كالبنيان المرصوص الذي لا تهزّه العواصف ولا تُهيبُهُ القواصف.

فهي الّتي قد منحتِ العظمة لواقعة عاشوراء وكانت سبباً للظهور الّذي لا مثيل له لفضائل أهل البيت عليهم السلم ومكارم أخلاقهم في مقابل أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله الذين كانت الدنيا أكبر همّهم ومبلغ علمهم.

فقد أصبحت هذه الواقعةُ العظيمةُ متميّزةً عن باقي الوقائع العالمية الكبرى من عدّة وجوه، فالمصيبة التي يشارك في عزائها ملائكةُ الله والأنبياءُ والأوصياء عليهم السلام قبل وبعد وقوعها، ويقوم أئمة الهدى عليهم السلام بذكر تلك المصيبة العظمى والرزية الكبرى ويقيموا لها مجالس العزاء في الأرض كما قامت بذلك الملائكة في السّماء، فهي المصيبة التي أدمت عيون صاحب العصر والزّمان أرواح العالمين له الفداء حيث جعلته يندب من أجلها صباحاً ومساءً، وأصبح يبكي حسرةً بدل الدموع دماً.

وقد اقتدى أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام أيضاً بأئمتهم على مرّ القرون الفائتة وعلى نحو الدوام، وقاموا ببيان عظمة مقام الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي هو من أهمّ شعائر الدين وبيان مصائبه هو وأهل بيته وأنصاره عليهم السلام الذين قدّموا التضحيات في سبيل إعلاء كلمة الله وإحياء دينه القويم.

وخلال كل هذه المدة كان علماء الشيعة الأتقياء هم الواجهة في هذا الميدان، ويتبعهم في هذا كافّة محبّي أهل البيت عليهم السلام أداءً لأجر النبوّة والمكتوب في الكتاب ووفاءً لعهد الله المأخوذ في الأصلاب، عسى أن يحوزوا بذلك معرفة من أوجب الرحمن ودّهم عليهم السلام وجعل من حبِّه حبَّهُم عليهم السلام وارتضى للخلائق دينهم عليهم السلام وقرن بمعرفته معرفتَهُم عليهم السلام.

وأنّى للخلائق الوصول إلى كنه معرفة من هم نور الأنوار وحجج الجبار وسلالة الأبرار؟ إذ ليس من السهل أن يدرك المرء عظمة المقام الذي منحه الله لأهل البيت عليهم السلام وأن يعرفهم حقّ معرفتهم، وإنّما يحتاج ذلك لوفير تهذيبٍ وناجعِ سُلوك وقوّة دين وخشوع عبادة، فحينها تهبّ النفحات الطيبةِ من حظيرة القدس الأعلى لتهبط على العِلّيِّين وما أدراك ما العلّيّون، الّذين اشتروا الآخرة بالحياة الدنيا فكانوا هم المنصورين، وتاجروا مع الله بأحسن المعاملة فربحت تجارتهم وكانوا هم المهتدين، وعشقوا آلَ الله وورثة رسوله صلى الله عليه وآله بالنحو الذي خطّه الله لهم وأراده في كتابه الكريم ﴿لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾. [الشورى:٢٣]

وحينها تأخذ المودّةُ للقربى شَطْرَ عُمُرِ من اكتسى حلية الصالحين وتجلب زينة المتّقين، إذ تصبح العترة ونيل رضاها شغله النضيد وهمّه الوحيد ويُعدّ لذلك طريقة هي في الندرة كالعقد الفريد.

فهذه شيمة من أحب الاتحاد بين العقل والحب، حب أهل الكرامة والغيرة، حب أبي الأحرار وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام.

شعبة الدراسات والبحوث

الشيخ بهجت رحمه الله

السلفية بين التطرف وتوظيف النص الديني للتكفير

لم تكن ظاهرة التطرف حديثة العهد بل هي قديمة قدم الإنسان باستثناء آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام.

وهناك إشارات كبيرة وواضحة تدل على ذلك منها الشواهد التاريخية والآيات القرآنية.

وقد مارس الإنسان التطرف تجاه جميع المخلوقات سيما تجاه أخيه الإنسان.

وما جاء في القرآن الكريم من تصوير فني رائع لرمزية الصراع بين بني البشر من خلال عرضه لقصة أولاد آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام، وما جرى على أحدهما من قبل أخيه الذي أعطى الحق لنفسه في قتل أخيه لأنّ الله عزّ وجل لم يتقبل قربانه وتقبل قربان أخيه.

وكذا هو الحال عند من يتطرف فإنّه لا يرى للحق مكاناً عند غيره، بل لا يرى الله إلاّ حيث يرى ويفعل ويقول هو، مع أنّ الأنبياء عليهم السلام وخاتمهم نبيّنا محمداً صلى الله عليه وآله كان يحاور المشركين ويسمع لقولهم ويجادلهم بالتي هي أحسن وهو في أحسن ظروفه السياسية وفي غاية كماله الإنساني الذي أفاضه الله عليه.

وما نريد أن نتوقف عنده ونتابعه بنظرة خاطفة سريعة هي الدوغمائية السلفية التي تعتمد على سطحية الخطاب، وخطاب التسطيح، منذ نشأتها حيث كانت أكبر أعداء العقل وأعزّ أصدقاء الجهل.

وكانت بداية ظاهرة التطرف في التاريخ الإسلامي لا (الإنساني) عند حركة الخوارج التي برزت من خلال توظيفها للنص الديني (الآيات القرآنية) توظيفاً مصلحياً مشوّهاً خالياً من الرؤية العقلية المستقلة المستضيئة بنور العقل والهداية الإلهية، حيث إنّها رغم تعاهد أفرادها للعبادة وقراءة القرآن، ولكنهم كما عبّر عنهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...». (مجمع الزوائد:٦/٢٢٨.الخصال:٢/٥٧٤)

وقد تبلورت حركتهم المعارضة للخلافة الشرعية تزامناً مع قبولهم للتحكيم ورفعهم شعار (لا حكم إلاّ لله) مصرّين من خلال حركة سطحية خالية من العقل على فرض عملية التحكيم والرجوع على القرآن.

ورغم تأييدهم أكذوبة ابن العاص وخدعته، وإصرارهم على الإمام علي عليه السلام بل إجباره على التحكيم، قالوا بأنّ تحيكم الرجل في دين الله من المحرمات ومن الكبائر التي وجبت التوبة على من قام بها أو قبلها إلى الله، وإلاّ فهو في جهنم وساءت مصيراً.

ولكي يغسلوا عار الذنب عنهم فقد تابوا منه بغسلهم ببولهم إذ قاموا وأعلنوا عن قائمة المذنبين الذين عليهم أن يتوبوا وإلاّ فهم كفار حتّى وإن كان فيهم علي بن أبي طالب عليه

السلام الذي عدّه القرآن نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخبره النبي صلى الله عليه وآله عنه أنّه ميزان الحق، وليت شعري أيّ ذنب أكبر من ذلك.

ورغم أنّ الخوارج هم أوّل من مارسوا التكفير بصورة واضحة، ولكننا نعتقد أنّ التكفير لم يتم منهجه ووضع أسسه بهذا الشكل الآن إلاّ عند المذهب الحنبلي ابتداءً من أحمد ابن حنبل ونزولاً عند ابن تيمية وانتهاءً إلى مؤسس الحركة الوهابية محمد بن عبد الوهاب.

من هو أحمد بن حنبل؟

لم يكن أحمد بن حنبل يعرف عند العلماء على أنّه من الفقهاء من أمثال مالك وأبي حنيفة والشافعي وغيرهم بل كانوا يعتبرونه من المحدّثين الذين يميلون للأخذ بالرواية أكثر من العقل وقد كانت الرواية هي حياته وشغله الشاغل، وحيثما توجه الرواية كان يتوجه واعتبر الأخذ بالرواية الضعيفة خيراً من استخدام العقل واللجوء للرأي.

وقد اختلف مع الكثير من العلماء من الفرق الإسلامية، وبنى على ذلك الاختلاف أحكامه عليهم فكان يرى أن من يقول بخلق القرآن فهو كافر مع أنّ المسألة هي ليست من الأصول الاعتقادية التي يجب الإيمان بها، ولأنّه كان يرى أنّ (الخير والشر بقدر والزنا والسرقة بقدر، وشرب الخمر بقدر... وأنّ الخير والشر مكتوبان على العباد).(المسائل والرسائل المروية عن ابن حنبل للدكتور عبد الإله الأحمدي:١/١٤٩)

و(إن زنى العبد فبقدر الله وإن سرق فبقدر الله). (المسائل والرسائل المروية عن ابن حنبل:١/١٥٠)

وقد حكم على القدرية - وهم أغلب مذاهب الأُمة عدا السلفية والأشاعرة - بأنهم كفار لأنّهم كانوا يرون أنّ المعاصي هي ليست بقدر الله، وإنّما هي من فعل العبد.

ولم يتورّع حتى في التكفير المعين، فقد سئل عن العديد من العلماء في عصره وحكم عليهم بالكفر لاختلافهم في بعض المسائل معه.

ولم يكن أتباع ابن حنبل أقلّ تطرّفاً منه بل إنّ بعضهم كان أشد تطرفاً وقسوة، أمثال ابنه عبد الله، واللالكائي، وابن بطة، والحسن البربهاري وغيرهم.

من هو ابن تيمية؟

يعد ابن تيمية إمام المتطرّفين، فقد ورث فكر ونهج الحنابلة ومعتقداتهم، وعمل على بعثها من جديد، بعد أن أصبح المذهب الحنبلي أقل المذاهب شأناً.

وقد اصطدم بذلك الفكر مع علماء عصره بل حتى مع عامة الناس كما حدث في مصر عندما ذهب إلى هناك ووجد أنّ الناس يتباركون بالذهاب إلى زيارة السيدة نفيسة أو مقام رأس الحسن عليه السلام، فأخذ بالقول على السيدة نفيسة فاعرضوا عنه، وثار عليه فقهاء مصر وأفتوا بقتله إلاّ أنّ السلطان عارضهم ولم يوافقهم.

ومما يؤخذ على ابن تيمية أنّه كان في عصر سلاطين المماليك، الذين عرف عصرهم بالظلم والاستبداد والفساد، إلاّ أنّه لم يعلن حربه عليهم بل أرسل سهام التكفير والتفرقة إلى المسلمين المخالفين لفكره ومعتقداته، وأطلق عليهم اسم أهل البدع وأصحاب العقائد الفاسدة.

وكان لفقهاء عصره ردود فعل فقد طالب بعضهم بقطع لسانه، ومنهم من طالب بنفيه، ومنهم من طالب بقتله، لأنّه كان طويل اللسان وكثير السب لمخالفيه، ولم يسلم من لسانه أحد، حتى سيبويه العالم النحوي.

وقد أعلنت عليه الحرب بعد فتوى الحموية وعقدت له جلسات انتهت بحبسه بالاسكندرية.

وحشر إلى دمشق فتكلموا معه في مسألة الزيارة وقوله بتحريم زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وكتبوا في ذلك إلى مصر، فورد مرسوم باعتقاله في القلعة، فلم يزل بها إلى أن مات فيها سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.(الدرر الكامنة

في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني:١/١٤٤)

ولم تظهر أفكار ابن تيمية بعد موته إلاّ بعد أن جاءت الحركة الوهابية بزعامة محمد بن عبد الوهاب.

لماذا اختار الوهابيون ابن تيمية وركزوا عليه واعتبروه شيخ الإسلام من دون بقية فقهاء السنة؟

الجواب: هناك عدة أسباب أهمها ما يلي:

١. إنّ صورة ابن تيمية كصورة ابن حنبل.

٢. إنّ محمد بن عبد الوهاب لم يكن صاحب فقه أو مؤهّلات دعوية أو مقوّمات شخصية تجعله يعتمد على ذاته.

٣. إنّ الوهابيين يتميّزون بغلظة القلوب والعدوانية والبدوية وذلك بحكم الكثير من الظروف (الجغرافية).

فلهذه الأسباب وغيرها مالوا إلى ابن تيمية.(تاريخ الإسلام،ترجمة ابن تيمية:٤٣٠)

من هو محمد بن عبد الوهاب؟

يعتبر محمد بن عبد الوهاب من أكثر الشخصيات تطرفاً، ويعتبروهُ أتباعه هو من أعاد نهج السلف الصالح من المسلمين الأوائل، وهو الذي وضع أفكار الحنابلة وابن تيمية موضع التطبيق.

فهم حكموا على الكثير من المسلمين بالكفر، ولكن ابن عبد الوهاب لم يكتفِ بتكفير المسلمين بل جهّز الجيوش لقتالهم حتى وإن كانوا عزّلاً أو نساء أو أطفالاً، كما فعل أتباعه في كربلاء حينما أغاروا عليها وقتلوا أكثر من ألف إنسان بريء في يوم واحد، ونهبوا ضريح الإمام الحسين عليه السلام وأخذوا ما وجدوا في خزانته من النفائس، حتّى أنّ مؤرخيهم حينما يمرون على تلك الحادثة يعتبرونها موضع فخر لهم.

وقد تحالف مع أمير الدرعية محمد بن سعود، وبايعه تحت شعار الدم بالدم والهدم بالهدم وهي نفس الكلمة التي قالها النبي صلى الله عليه وآله للأنصار بعد بيعة العقبة الثانية، وكأنّه يريد أن يقول إنّ كل هؤلاء هم كفار كما كان الكفار أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد حكم على جميع المسلمين إلاّ من أمن بفكره بالكفر، ولذلك قد استباح دماءهم وأعراضهم، واعتبر أن التوسل بالصالحين هو كفر وشرك بالله يستتاب صاحبه منه وإن لم يتب يقتل، وإنّ من يزور القبور فهو كافر لأنّه يعتقد بأنّ أصحابه يقرّبونه إلى الله.

وعد المسلمين أكثر شركاً من الكفار في زمن النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: (اعلم أنّ المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي صلى الله عليه وآله بأنّهم يدعون الملائكة والأولياء الصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب إليهم).

وتتكئ السلفية الجهادية أفكارها، وحكمها على الناس بالكفر الصريح وأنّهم مشركون، ووجوب قتالهم وجوزا أخذ أموالهم واستباحة أعراضهم على فكر هؤلاء الثلاثة، وتعتبرهم مرجعيتها الفكرية والفقهية، مدعين أنّهم يسعون لإقامة الخلافة الإسلامية، والحاكمية الإلهية!!!

بقلم: الشيخ حيدر الشمري

خصوصية دور الأئمة عليهم السلام

إن دور الأئمة عليهم السلام متمّم ومكمّل لدور النبيّ صلى الله عليه وآله في هداية البشرية، وإلى ذلك يشير قوله تعالى في آية الغدير: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، لبيان خطورة وشدّة دورهم عليهم السلام المتمّم لدور النبيّ صلى الله عليه وآله في تبليغ الرسالة، وأنّه الأمر الذي يجب أن يُبلّغ لامتداد الرسالة وبقاء القرآن، أي بقاء حقيقته النازلة والمتنزّلة منها درجات في كلّ عام في ليلة القدر لا بقاء المصحف المنقوش بالخط.

وإلاّ لو كان دورهم هو مجرّد النقل السماعي اللفظي عن الرسول كقناة لإيصال الألفاظ والصوت لما كان لسان الآية بهذا اللحن الشديد والخطب البليغ، كما إنّ تعليق وتبليغ الرسالة برمّتها على شخص يخلف النبيّ صلى الله عليه وآله وهو أمير المؤمنين عليه السلام لابدّ أن يكون في تحمّله عن النبيّ صلى الله عليه وآله خصوصية لا يشترك معه فيها أحد وإلاّ لشاركه آخرون في القيام بذلك الدور ولمّا انحصر تبليغ الرسالة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله به.

وليست هذه الخصوصية وليدة عن كثرة سماع الوصي عليه السلام لكمية كثيرة من الأحاديث أو لقوّة حافظة عليّ عليه السلام لما يسمعه من الحديث على النمط المألوف، ولا لمجرّد أكثرية ملازمته وإلاّ لشاركه الآخرون في ذلك ولو بدرجة نازلة.

وإنّ تفسير خصوصية عليّ والعترة الطاهرة بمجرّد هذه المزايا لا يحسم جدلية السؤال عن وجه تخصيص الدور بهم دون بقية الصحابة والتابعين وسائر فقهاء وعلماء الأُمّة بل لكانت هذه المزايا نظير الترجيع بين الفقهاء في مسند الفتيا والقضاء وليست عملية اصطفاء إلهي بل لما كان في تقديم المفضول على الفاضل ذلك القبح الشديد المستنكر بل للزم احتياج العترة إلى مشاركة الصحابة والتابعين معهم في القيام بهذا الدور.

بل خصوصية الاصطفاء الإلهي لهم دون غيرهم هو لحملهم حقيقة القرآن التي هي الروح الأمر.

بقلم: الشيخ محمد السند

ولكم في رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة

أسئلةٌ تختلجُ صدورَ العقلاء، والواعين، ومَن أغمَّهُ تراجع الأُمة، تلك الأمة التي خفقت رايتها على أكثر من ثلثي الأرض، وكانت ملاذاً للبشر، لما تحمله من رسالة رحمة وإنقاذ.

إنَّ المتتبع للتاريخ، والمطّلع على أخبار الشعوب والأُمم، يلحظُ جلياً دورَ الأُمة الإسلامية، وحقبها التاريخية، التي كانت رغم تدهورها السياسي، حيث الحكام الظالمين، عبّاد الخمر والجواري، إلاّ أنها زهتْ وأضاءتْ لسائر الأقوام بتعاليم سماوية حنيفة تنير درب العاملين بها، وتُرشدهم إلى حياض السعادة والعيش الرغيد.

منذ انبثاق فجر الإسلام بعظيمه خاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وآله على ليل الجهل والتخلف بدت ملامح التغيير تطرأ على نفوس المجتمع الجاهلي، الأمر الذي أدى إلى تكالب كبار المشركين إلى محاولة وأد هذه البعثة المنقذة، فقد حاولوا بشتى الأُمور، وبذلوا أقصى الجهود وأغلى الأثمان لطمس هدية السماء إلى الخلق والقضاء عليها، إلاّ أنهم باءوا بالفشل لكنه تحقق الوعد الإلهي الذي أُخبرَ به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عن الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.[التوبة:٣٢].

ولو اطلعنا على السيرة العطرة للنبي صلى الله عليه وآله، وتدبرنا في مواقفه، لوجدنا تمام الدقة بكل تعامل مع أصغر الأُمور وأكبرها، ولرأينا الكمال الصادق التام بشخصيته وأقواله وأفعاله، فهو المصداق الأوضح لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.[الأنبياء: ١٠٧]

فقد كان قطب الرحمة ومحورها، يعطف على قومه وأُمته عطف الأم على ولدها بل أكثر عطفاً، فقد نُقل في طيات صفحات التاريخ أنه صلى الله عليه وآله تعرض بداية دعوته إلى مختلف صنوف التعذيب النفسي والجسدي كما هو دأب الأقوام في محاربة الأنبياء والرسل، إلاّ أن رسولنا الكريم قد أوذي أكثر ممن سبقه بكثير حتى قال مقولته الشهيرة: «ما أوذي نبيٌّ مثلَ ما أُوذيت».[المناقب:٣/٢٤٧]

وللحديث دلالات كثيرة ومعانٍ جمة تبين حجم المأساة التي تعرض لها هذا الشخص العظيم في حياته وبعد

استشهاده سواء له شخصياً أم لمن يرضى لرضاهم ويغضب لغضبهم ويتأذى لأذيتهم آله الأطيبين الأطهرين والمقام ليس محلاً لبحث دلالات هذا الحديث الشريف.

لكن لم يفتأ رسول الرحمة صلى الله عليه وآله على تبديل أُسلوبه في دعوة الناس إلى ما فيه سلامتهم وخلاصهم، فكان الممتثل الأول لوصية السماء في كيفية الدعوة إلى الدين بقوله عزّ وجلّ: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾.[النحل:١٢٥]

وغيرها من الآيات والمواقف التي ذكرها القرآن الكريم، فضلاً عما ورد على لسان أهل البيت عليهم السلام.

الكلام في جوانب السيرة النيرة للرسول محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام صلوات الله عليهم يطول ولا تحده سطور قلائل، فالغاية من الكلمات الآنفة الذكر هي تذكير للمسلمين واستنهاضهم للتنبه من الغفلة التي أصابتهم وخيمت على قلوبهم وعقولهم، ولإيقاظهم من النوم العميق الذي أذهب بنور بصيرتهم، ولإزالة آثار السبات والكسل عن أكتافهم، ليستعيدوا ويتنوروا بأمجاد أسلافهم الذين تمسكوا بعروة الإسلام محمد وآل محمد وتعاليمه فعاشوا المجد، ولابد لهم من أن يستردوا واقعية هويتهم الإسلامية وفعّاليتها لا أن يتفاخروا باسمها فقط.

فعلينا أنْ نكون مسلمين فعليين قولاً وعملاً ولابدّ أنْ تكون بلادنا إسلامية خالصة، لنرسم خطوط الراحة والأمان والتقدم والازدهار للأجيال اللاحقة والشعوب الأُخرى، ولكن مع شديد الأسف نحن اليوم بابتعادنا عن التعاليم السماوية وإعراضنا عن الاقتداء بالرسول الأكرم وآله الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين وتركنا العمل بهذه الآية المباركة من قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾.[الأحزاب:٢١]

فصرنا مصداقاً واضحاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾. [طه:١٢٤]

فصار عيشنا ضنكاً وضيقاً.

فالفرصة متاحة أمامنا، وتغيير الحال رهن أيدينا إن شئنا فعلنا والتوفيق بعد التوكل على الله والتوسل بأهل البيت عليهم السلام منه جلّ ذكره وما ذلك على الله بعزيز.

علينا التأسي برسول الله صلى الله عليه وآله بنبي الرحمة الذي أفنى عمره في تعليم الناس وهدايتهم، كذلك مواجهة من يقف في المس بشخصية النبي صلى الله عليه وآله والوقوف أمام من يقلل من منزلته الشريفة.

بقلم: صاحب عبد الصاحب

أهل الكتاب في ظل حكومة الإمام علي عليه السلام

لم تكن ظاهرة الأقليات الدينية أو الآخر كما يعبّر عنه بعض الباحثين، أو بحسب (أحمد حسون) مفتي سوريا فإنّه لا آخر بين بني البشر، لأنّ الإنسان هو الإنسان، والآخر هو الحيوان، ظاهرة متوقفة في دائرة البعدين الزماني والمكاني، بل هي ظاهرة قديمة بقدم الإنسان والأديان.

وبالتالي فإنّ هناك العديد من الأسئلة التي شغلت الكثير ولا زالت تشغل الأكثر من الباحثين والمفكرين سيما من أبناء الديانات الأُخرى، وهي:

إذا حكم الإسلام، أو إذا حكم المسلمون باسم الإسلام وطبقت تعاليمه على أرض الواقع فما هو مصير الأقليات أو (أهل الذمة)؟

هل سوف يجبرون على اعتناق الإسلام وتصادر حرياتهم ويباعون في الأسواق على أنّهم (عبيد) و(إماء) و(أنّهم سبايا الجيش الإسلامي الفاتح) كما فعلت (داعش) بالإيزديات وغيرهن؟

هل يؤمن الإسلام بمفهوم المواطنة أم أنّ هناك مواطناً من الدرجة الأُولى والآخر ليس كذلك؟ وإن لم يجبروا على اعتناق الإسلام وبقوا على دياناتهم، فهل يحق لهم أن يمارسوا طقوسهم كما يفهمونها؟

أم أنّ هناك قيداً وهو أن لا يتعارض مع أُصول الإسلام مثل: التوحيد، وغيرها.

وهكذا العديد من الأسئلة التي تتعلق بالجانب الديني والرؤية السياسية.

وهنا نحاول أن نقف عند أهم تلك الأسئلة وتلك الأفكار.

وتطبيقاً لمفهوم الراعي والرعية - وإن كان بحسب بعض الباحثين لا يصح إطلاق هذا المفهوم في مجال علاقة الحاكم والمحكوم - في ظل الحكومة الصالحة نجد ذلك الشاهد في حكم النبي صلى الله عليه وآله في المدينة المنورة بعد هجرته إليها، وشاهداً آخر: هو فترة حكم الإمام علي عليه السلام ومبايعته إماماً للمسلمين.

وقد جاء القرآن الكريم وهو يضع معالم تلك العلاقة التفاعلية بين مواطني الدولة في ظل الحكومة الإسلامية من خلال بيانه لكيفية طرح الحوار الحضاري، حتى يؤدّي إلى ذلك التعارف المبني على أسس التقوى ﴿...لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾.[الحجرات:١٣]

وكذلك فإنّ صيغة الحوار يجب أن لا تخرج عن القيم الأخلاقية وأن يكون أدب الحوار حاضراً من خلال ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾.[النحل:١٢٥]

وغير هذه الآيات الكثير، وهي ترسم خطوط ذلك المشروع الإلهي، لتنتقل إلى وضع القواعد لبيان الحقوق والواجبات، من خلال طرحه لمفهوم (أهل الذمة)، ليفهم جميع المسلمين أنّ أهل الكتاب لهم أكثر مما للمسلمين، لأنّهم داخلون في ذمة المسلمين، وعلى القيادة الإسلامية والمسلمين أن يحترموا تلك الذمة ويكونوا أمينين عليها.

من هم أهل الذمّة؟

الذمّة في اللغة العهد والأمان، وأهل الذمّة هم المستوطنون في بلاد الإسلام من غير المسلمين، وسموا بهذا الاسم لأنّهم دفعوا الجزية فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وأصبحوا في ذمّة المسلمين وكانت تقاليد الإسلام تقتضي بأنّه إذا أراد المسلمون غزو إقليم وجب عليهم أن يطلبوا من أهله اعتناق الإسلام، فمن استجاب منهم طبقت عليهم أحكام المسلمين، ومن امتنع فرضت عليه الجزية.(الإسلام وأهل الذمّة:٦٥)

ورغم أنّ المستشرقين حاولوا أن يشنعوا على الإسلام والمسلمين في مسألة أخذ الجزية ويعتبروها عقوبة لهم على عدم الدخول في الإسلام، إلاّ أنّ الجزية ما هي إلاّ ضريبة مثلها مثل كل الضرائب المعمول بها في كل البلاد، بل نستطيع أن نقول أنّ مقدار الضرائب المالية التي يدفعها المسلمون أكثر بكثير مما يدفعه أهل الكتاب للمسلمين والحكومة الإسلامية.

فقد كان أهل الذمّة لا يدفعون سوى عشر التجارة والجزية، وهم معفون من الصدقات.(الإسلام وأهل الذمّة:٦٧)

وفي المقابل تجد أنّ على المسلم أنْ يدفع خمس الغنائم، والزكاة، وزكاة الفطرة، وغيرها.

والحياة في كل مجتمع في كل عصر تقوم على أساس الحقوق والواجبات، وقد تمتع أهل الذمّة بكثير من الحقوق، فكان عليهم أن يقوموا مقابل هذه الحقوق المختلفة ببعض الواجبات، كما أنّ كل فرد في أيّ دولة في أيّ عصر، لابد أنْ يسهم بجزء من المال، للقيام بما يحتاجه المجتمع من خدمات ومرافق.

واعترف المؤرّخ (توماس أرنولد) بذلك فقال: (لم يكن الغرض من فرض الجزية على أهل الذمّة، كما يريد بعض الباحثين على الظّن، لوناً من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام، وإنّما كانوا يؤدّونها مع سائر أهل الذّمّة، وهم غير المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش في مقابل الحماية التي كفلتها لهم الدولة الإسلامية).(الدعوة إلى الإسلام:٧٩)

وقد كتب النّبي صلى الله عليه وآله عهده إلى أحد الأُمراء المسيحيين جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، وهذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله، ليحنة بن رؤبة وأهل أيله، سفنهم وسياراتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر...).(سيرة ابن هشام:٤/١٨٠)

وجاء في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «...مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِداً كُنْتُ خَصْمَه...».(تحف العقو:٢٧٢)

ومن كل هذا نفهم أنّ الإسلام نظر إلى تلك الشعوب التي لم تدخل في الإسلام على أنّهم مواطنون في دولة المسلمين ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وبالتالي فإنّ لهم حقوقاً وعليهم واجبات.

وأعطاهم صفة أهل الذمّة لأنّهم دخلوا في الإسلام والمسلمين بل وفي ذمّة رسول الإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، ولهم الحرية في أنْ يمارسوا طقوس دينهم إن كانوا من أهل الكتاب، ولذلك لم يروِ لنا التاريخ أنّه صلى الله عليه وآله قد هدم كنيسة أو معبداً، بل ولا حتى في زمن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

أهل الكتاب في حكم الإمام علي عليه السلام

إنّ سلوك الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو نموذج لتجسد أفكار الإسلام وتعاليمه في الحياة، لأنّه هو الذي أخذ العلم من النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، يَفْتَحُ كُلُّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ». (كتاب سليم بن قيس:٢/٩١٢)

وقد تربّى على يديه صلى الله عليه وآله ونهل من نمير علمه، فهو عدل القرآن وشريكه، والقرآن هو دستور المسلمين، وبالتالي فإنّ سلوك علي عليه السلام هو دستور المسلمين أيضاً، وليس هذا ما يدعيه شيعة أهل البيت عليهم السلام، بل إنّ الكثير من المؤرّخين والكتّاب المسلمين يستشهدون بالكثير من سلوكياته وأخلاقياته عليه السلام فضلاً عن الباحثين من الأديان الأُخرى.

وما ذلك إلاّ اعترافاً ضمنياً بأنّها تشريعات إلهية لا يدنوا إليها الشك والريب.

فقد روى (أبو الأعلى المودودي) عن صاحب كتاب البرهان في شرح مواهب الرحمن: (أخذ رجل من المسلمين بقتل ذمّي، وقامت الحجة عليه فأمر أمير المؤمنين علي عليه السلام بالقصاص، فجاء أخو المقتول وقال: قد تركت القود. ولكنه لم يرضى بذلك وقال: لعلهم فزعوك أو هددوك، فقال: لا، بل قد أخذت الدية ولا أظن أخي يعود إليّ بقتل هذا الرجل. فأطلق علي عليه السلام القاتل وقال: «من كان له ذمّتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا». (البرهان في شرح مواهب الرحمن:٣/٢٧٨)

ومن ذلك نجد أنّه عليه السلام حينما عهد إلى مالك الأشتر النخعي رضوان الله عليه ولاية مصر وقد أوصاه، لم يخصص الرحمة بالمسلمين، بل كان جميع كلامه بصورة عامة، ومما جاء في وصيته: «...وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ... فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ...». (تحف العقول:١٢٦-١٢٧)

ولم تشدد الشريعة على أهل الكتاب في دفع الجزية بل أنّ هناك حالات استثنائية حيث أنّ النبي صلى الله عليه وآله نهى عن تعذيب الناس وقد روي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ الله تعالى يعذّب يوم القيامة الّذين يعذّبون النّاس في الدّنيا». (نهج الفصاحة:٣٠٨)

ولهذا فإنّ الذين يصبحون فقراء ومحتاجين من أهل الذمّة، فلا يعفون من الجزية فحسب، بل يجري لهم عطاء من بيت المال الإسلامي. (الإسلام وأهل الذمة:٢٥)

وينقل عن الإمام علي عليه السلام أنّه رأى رجل يتكفف ويطلب من الناس، فقال ما هذا - إشارة إلى الفعل المستغرب حيث لا يوجد فقراء يتكففون في دولته - فقيل له إنّه نصراني فقال ما معناه: إنّكم استعملتموه حينما كان شاباً قادراً ولما كبر اليوم تركتموه يتكفف، وأمر صاحب بيت المال أن يجري له العطاء من بيت المال.

إذن: من كل ما تقدم نفهم أنّ الإسلام احترم أصحاب الديانات الأخرى وتعامل معهم على أساس الإنسانية، والمواطنة في الدولة، واعتبر لهم حقوقاً كما للمسلمين حقوق، وعلى الدولة أن ترعى وتحافظ عليها، بل إنّ النبي صلى الله عليه وآله جعل من نفسه حجيجاً ومخاصماً لمن يعتدي عليهم وعلى حقوقهم يوم القيامة، وأنّهم داخلون في ذمّة الله ورسوله، وذمّة المسلمين.

وأي اعتداء عليهم أو طردهم من بلادهم أو مساكنهم ما هو إلاّ تصرّف بعيد عن روح الإسلام وأحكامه وتشريعاته، وقد كان أجلى وأوضح تطبيق لأحكام الإسلام في سلوك ومنهج وتعاليم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ربيب النبي صلى الله عليه وآله وتلميذه الأول، الذي تأدّب بأدبه وأخذ تعاليمه.

ومن ذلك نفهم أيضاً، أنّ ما يفعله خوارج العصر (الدواعش) الذين يسمون أنفسهم بالدولة الإسلامية، والإسلام منهم براء، من قتل الأبرياء من أبناء الديانات الأُخرى مثل (الإيزيديين والمسيحيين) وغيرهم، وسبي نسائهم وبيعها في الأسواق، ما هي إلاّ تصرفات بعيدة عن الشرع المقدس، وبعيدة عن روح الإسلام وتعاليمه، وإنّ الله وصف إرسال نبيه بالرحمة للعالمين، فهل يكون المسلمون نقمة على العالمين.

بقلم: حيدر مؤيد الحيدري

فَضْلُ المجاهدين على القاعدين

هناك صفات مهمة ينبغي للمجاهد في سبيل الله التحلّي بها، فيستدل من هذه الصفات أهمّية الجهاد والموارد التي يجب على المجاهد مراعاة ذلك لينطبق عليه كلمة المجاهد، لأنّ الجهاد في سبيل الله تعالى هو الطريق المؤدّي إلى الشهادة، والشهادة باب من أبواب الجنة.

تفضيل المجاهد على القاعد

صحيحٌ أن الله تعالى فضّل المجاهدين في سبيله على القاعدين بقوله: ﴿ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾. [النساء:٩٥]

لكن ليس كل من حمل السلاح وانطلق لقتال العدو نال بركة الجهاد وحصل على آثاره الطيبّة.

فكثيرون هم الذين قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن عندما وافته المنيّة انقلبوا على أعقابهم خاسرين، قال تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾. [المائدة:٢١]

بل للجهاد في سبيل الله تعالى شروطٌ أساسية بمراعاتها ينال المجاهد ما وعده الله من الفضل العظيم، والزلفى والمغفرة، وجنة النعيم قال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾. [القلم:٣٤]

من أهم الشروط التي تنطبق على الشخص ليكون مجاهداً ما يلي:

أوّلاً: القتال تحت راية الحق

الجهاد في سبيل الله واجبٌ إلهي لا يجوز أن يشرّع فيه الإنسان من نفسه بالرجوع إلى أهوائه.

بل عليه أن يتّبع أوامر الشريعة فيما تأمر به وتنهى عنه في هذا المجال.

وأوّل ما تأمر به هذه الشريعة الغرّاء أن يكون جهاد المرء مرتكزاً على أساس ديني، بمعنى أن يكون قتاله لأجل الأهداف الإلهية، وتحت راية الحق، وبقيادة المعصوم عليه السلام أو نائبه بالحق الذي ينوب عنه، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾. [النساء:٥٩]

لأنّ الله عز وجل لن يقبل عمل من يوالي عدوّه ويقاتل تحت رايته ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء ﴾. [الممتحنة:١]

بل ستكون أعماله باطلة ولا قيمة لها أيضاً قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾. [محمد:٣٣]

ثانياً: طاعة القائد

من أهمّ الشروط التي يجب على المجاهد في سبيل الله الالتزام بها هو طاعة القائد والقيادة للجيش.

وهي من الواجبات الشرعية التي أكّد عليها الإسلام بشدة،

لأنّ حفظ النظام وديمومته ونجاح الأعمال شرطها الأساسي طاعة القائد، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .[الأنفال:٤٦]

أما التمرّد على القيادة الشرعية وعدم طاعتها فيدلّ في الواقع على عبادة النفس والتعصب للذات وهو ينافي مبدأ التسليم للحق والطاعة له.

إنّ أول عملٍ ركّز عليه الإسلام في بداية ظهوره هو الطاعة لله ورسوله، ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .[النور:٥٢]

فالفوز في الدنيا والآخرة مرهونٌ بطاعة الله وطاعة رسوله والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ .[النساء:٥٩]

لذا عيّن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الأئمة عليهم السلام قادةً لأمّته بعد وفاته، والإمام الثاني عشر الحجّة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف أمر الناس بالرجوع إلى رواة الأحاديث وجعلهم حجته على الناس، كما جاء في التوقيع المقدّس عن إمامنا المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف حيث قال لسائلٍ أشكل عليه بعض المسائل: «... وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِم...».(كمال الدين وتمام النعمة:٢/٤٨٤)

واستناداً إلى ما تقدّم فإنّ عدم الطاعة للإمام المعصوم عليه السلام يعني الاستخفاف الصريح بحكم الله تعالى، لأنّ الرادّ على المعصوم كالرادّ على حكم الرسول صلى الله عليه وآله والرادّ على حكمهم كالرادّ على الله قال تعالى: ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾ . [النساء:٨٠]

ومما يجدر الانتباه إليه هنا أيضاً هو وجوب طاعة القادة المعيّنين من قبل الإمام المعصوم عليه السلام، ومجريات التاريخ تحكي بوضوح عن كثيرٍ من الهزائم والويلات التي مُني بها المسلمون والتي كان السبب الأساسي فيها عصيان أوامر القيادة الإسلامية، وهذا ما تدعمه وتؤيده النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة.

فقصة معركة أحد خير شاهدٍ على ذلك، كما ويروي التاريخ لنا حادثة مهمة جداً ومعبّرة تحكي عن فداحة التخلّف عن أوامر القيادة لما له من عواقب وخيمة جداً، حين أعدّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جيشاً قبل وفاته وعيّن قائداً عليه لم يتجاوز من العمر أكثر من عشرين سنة، وكان ذلك سبباً عند بعض المسلمين للتخلف والعصيان، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمر وقال جملته المشهورة: «لعن الله من تخلف عن جيش أسامة».(الاحتجاج:١/٣٠٣)

ثالثاً: التقوى

من يخشَ الله تعالى ويتّقه حق تقاته يجتنب ما حرّمه ونهى عنه، ويؤدّ ما فرضه وأوجبه.

وهذا هو الإنسان المتّقي الذي يخاف الله ويحرص على عدم معصيته ومخالفة أمره، فتكون بذلك أعماله مورد قبول الحق ورضاه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .[النور:٥٢]

أما الأعمال التي لا ترتكز على التقوى فتشبه البناء القائم على حافة جرفٍ هارٍ والذي لن يصمد طويلاً أمام التهديد وسرعان ما سوف يهوي بأهله، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى

﴿ تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.[التوبة:١٠٩]

فالتقوى تعدّ شرطاً أساسياً لأنّ الله لا يطاع من حيث يعصى.

وإذا لم يحافظ المجاهد في سبيل الله على حدود الله عند أدائه لواجباته فلن يتقبل الله جهاده، ويُخشى أن يسلب منه فضل الجهاد والتوفيق إليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾.[المائدة:٢٧]

لأنّ المجاهد إذا لم يكن مراعياً لحدود الله وملتزماً بشريعته فسيكون عرضةً لفتن النفس الأمّارة بالسوء والأهواء المضلّة، ما سينعكس سلباً على عمله وجهاده حتماً، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.[القصص:٥٠]

فساحات الجهاد يجب أن تكون طاهرة وخالية من المعاصي وبذورها المكدّرة وآثارها الهدّامة التي تحول دون نشوء جبهة مباركة نورانية وقوية، لتكون أرضاً خصبة لفيوضات الحق وكراماته ونعمه المطلقة ومحلاً لعروج الإنسان وارتقائه.

رابعاً: الإخلاص

من الصفات المهمة التي ينبغي للمجاهد التحلي بها هو الإخلاص، لأنها منشأ الهداية والتوفيق.

فالله سبحانه وتعالى أمر الناس بالعبادة لقوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾.[الإسراء:٢٣]

وجعلها شرطاً أساسياً للارتباط به وتحقق العبودية والوصول إلى مقامها الشامخ، ولكنه لم يأمر بأي عبادة بل أمر عز وجل بالعبادة الخالصة له التي لا يشاركه فيها أحدٌ أبداً، بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾.[البينة:٥]

وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «طُوبَى لِمَنْ أَخْلَصَ للهِ الْعِبَادَةَ وَالدُّعَاءَ وَلَمْ يَشْغَلْ قَلْبَهُ بِمَا تَرَى عَيْنَاه». (الكافي الشريف:٢/١٦)

فالإخلاص هو روح العبودية لله وجوهرها، وحقيقته تخليص النية والدافع نحو العمل من كل شيء ما عدا الله سبحانه وتعالى.

فالمخلص هو الذي لا يطلب من وراء أي عمل يقوم به سوى رضى الله تعالى، ولا يكون له مقصدٌ أو دافعٌ سوى التقرّب إليه عزّ وجل.

إن الأعمال مرهونةٌ بالنيات وإذا لم تكن النوايا خالصة فهذا يعني أنه يشوبها الشرك، والله تعالى لا يغفر أن يشرك به، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾. [النساء:٤٨]

ولا يقبل إلا ما كان له خالصاً كما في الحديث القدسي المروي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يقول الله عزّ وجل: أَنَا خَيْرُ شَرِيك مَنْ أَشْرَكَ مَعِي غَيْرِي فِي عَمَلِي لَمْ أَقْبَلْ إِلاَّ مَا كَانَ لِي خَالِصاً».(فقه الإمام الرضا عليه السلام:٣٨١. الكافي الشريف:٢/٢٩٥)

وعليه فكل عملٍ لا يكون خالصاً لوجه الله تعالى فهو شرك، والشرك ظلمٌ عظيم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لاِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾. [لقمان:١٣]

وقال تعالى ﴿ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.[الصف:٧]

والمجاهد في سبيل الله عند أدائه لواجباته وتكاليفه الشرعيّة هو في حالة عبادة، ولأعماله بعدٌ إلهي يمكن أن يرفعه إلى أعلى عليّين ويقرّبه من الحق نجيّاً في حال اتّسمت أعماله ونواياه بالإخلاص.

أمّا إذا لم تكن النوايا خالصةً ولم يكن الدافع الأساسي من وراء الجهاد رضا الله وأداء التكليف الشرعي فلن تكون الأعمال مقبولةً وبالتالي لن ينال الأجر والثواب الذي يستحقّه.

لأنّ الذاهب إلى ميادين الجهاد لن يصدق عليه وصف المجاهد في سبيل الله ما لم تكن هجرته إلى الله، وما لم يكن دافعه الأساسي وهدفه النهائي هو الحق سبحانه وتعالى لا غير، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾.[الكهف:١١٠]

خامساً: الصبر

الصبر من صفات المجاهد الأساسية ومن دونه لن يتمكّن من مواجهة الصعاب وتحمّل المشاكل التي تنتظره.

لذا أمر الله تعالى به عباده المؤمنين بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾. [البقرة:١٥٣]

وجعله أساس الإيمان ودعامته الرئيسة كما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: الصَّبْرُ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ

وَلاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ صَبْرَ لَهُ».(صحيفة الإمام الرضا عليه السلام:٨١. الكافي الشريف:٢/٨٧)

والصّبر لا يعني تحمّل الشقاء وقبول الذلة والاستسلام للعوامل الخارجية، بل على العكس، الصبر يعني القدرة على التحمل والمقاومة والثبات أمام جميع المشاكل والصمود أمام الحوادث المرّة وعدم الانهيار وترك الجزع والفزع.

وتاريخ العظماء يؤكد أن من أهمّ عوامل انتصارهم هو صبرهم واستقامتهم، أما الفاقدون لهذه الصفة فسرعان ما ينهارون وينهزمون.

ومن الخصائص الأساسية للصبر، أن بقية الفضائل متوقفةٌ عليها لأنّها سندها ورصيدها الأساسي، والأهم من ذلك أنّ الله تعالى يحب الصابرين ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.[آل عمران:١٤٦]

وهو معهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾؛ فمن صبر على الجهاد ولم يشكُ ولم يجزع واستقبل البلايا بصبرٍ وسكينة، فنصيبه أن الله تعالى معه وسوف يؤيّده بالنّصر.

ويكفي للدلالة على مدى أهمية الصبر بالنسبة للمجاهد ما ذكره القرآن الكريم حين أمر الله النبي بالقتال وتحريض المؤمنين عليه، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.[الأنفال:٧٥]

فالآية الكريمة تشير إلى ما يشبه المعجزة التي يمكن أن تحصل مع المؤمنين المجاهدين في الحرب إذا ما التزموا الصبر وكانوا من المتصبّرين في ميادين القتال.

فقد وعدهم الله تعالى بأن يغلب الرجل منهم عشرةً من الكفار في حال كانوا من الصابرين، بل حتى لو كانوا عشرة أضعاف عددهم.

وممّا يسترعي الانتباه أنّ أغلب المعارك التي جرت بين المسلمين وأعدائهم كان فيها ميزان القوى لصالح العدو، وكان المسلمون قلّة غالباً.

والسبب الرئيس الذي يقف وراء انتصار المسلمين القلة في مثل هذه المعارك هو صبرهم وتجلدهم أمام عدو يفوقهم عدداً وعدّة، وتمتّعهم بروحية الثّبات والاستقامة التي هي ثمرة شجرة الإيمان.

سادساً: التوكل

يجب أن يكون أقوى وأمضى أسلحة المجاهد هو التوكّل على الله سبحانه وتعالى، لأنّه يؤمن بأن الحول والقوة بيد الله، وأنه المؤثر الحقيقي والوحيد في هذا العالم، وأن الأمور كلّها في الحقيقة ترجع إليه، وليس على الإنسان الصادق في إيمانه سوى أن يعبد الله فيما أمره وأن يتوكّل عليه، فلا يعتمد على نفسه إطلاقاً ولا يكون همّه نتائج أعماله بل جلّ اهتمامه يكون منصبّاً على طاعة ربه وأداء تكليفه بصدق وإخلاص، قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾. [هود:١٢٣]

أما النتائج فأمرها موكولٌ إلى الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾.[آل عمران:١٢٦]

فالتوكل هو الاعتماد على الله تعالى في جميع الأُمور، والاعتقاد بأنه مسبب الأسباب والمتسلّط عليها، وأن بإرادته ومشيئته تتحقّق هذه الأسباب.

وهذا لا يعني ترك العمل والجد والاجتهاد والإعداد وتهيئة السلاح والمعدّات وزيادة القوة العسكرية وتطوير الكفاءات والحرص على التنظيم وغيرها من الأُمور.

بل كل هذه الأُمور ضرورية وأساسية ويجب الاهتمام بها وتوفيرها بحسب القدرة والوسع كما يقول الله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.[الأنفال:٦٠]

فالتوكّل لا يعني ترك العمل والأخذ بالأسباب على الإطلاق.

فقد روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رَأَى قَوْماً لاَ يَزْرَعُونَ قَالَ: «مَا أَنْتُمْ؟»، قَالُوا: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ؛ فقَالَ صلى الله عليه وآله: «لاَ بَلْ أَنْتُمُ الْمُتَّكِلُونَ».(مستدرك الوسائل:١١/٢١٧)

فمن أضحى عنده معرفة بالله تعالى يعلم أن مقتضى الحكمة الإلهية أن الأُمور تتحقق بواسطة الأسباب، ولكن على قاعدة أن جميع تلك الأُمور لا تعدو كونها وسائل لا أكثر، وأن العبودية لله وأداء التكليف الشرعي أهم من تحقيق النصر، وأن هذه الأمور ليست هي من يحسم النتائج ويحقّق النصر ويضمن الوصول إلى الأهداف المنشودة، بل الاعتماد والتوكل يجب أن يكون أساساً على من بيده الملك وهو على كل شيء قدير لا على الأسباب الظاهرية، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[الملك:١]

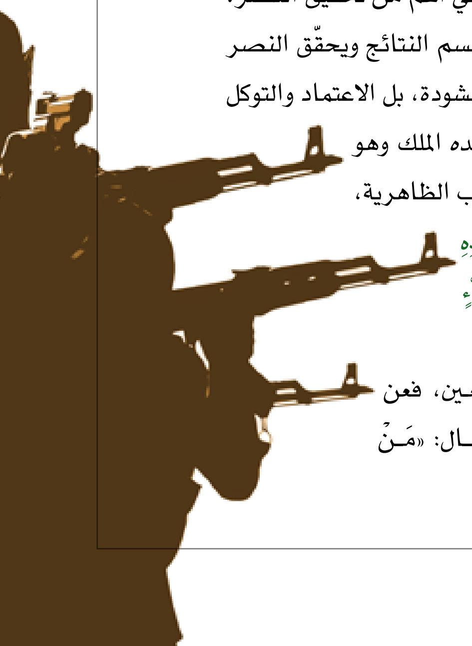

فهو في الحقيقة الناصر والمعين، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «مَنْ

تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ لاَ يُغْلَبُ وَمَنِ اعْتَصَمَ بِاللهِ لاَ يُهْزَم».(بحار الأنوار:٦٨/١٥١)

سابعاً: ذكر الله

لقد أمر الله تعالى المجاهدين أن يذكروه عند لقائهم العدو ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.[الأنفال:٤٥]

وليس المراد بالذكر هنا الذكر اللفظي فحسب، بل المقصود منه أيضاً الذكر القلبي بمعنى حضور الله تعالى في قلوبنا بحيث لا نغفل عن علمه وقدرته غير المحدودة ورحمته الواسعة.

ومثل هذا التوجه إلى الله يقوّي من عزيمة المجاهد في ميدان القتال، ويُشعره على الدوام بأنّ هناك سنداً قويّاً يدعمه في ساحة المواجهة، لا تستطيع أية قدرة في الوجود أن تتغلب عليه.

فذكر الله يبعث على الاطمئنان والقوّة والقدرة والثبات في نفس المجاهد ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾. [الرعد:٢٨]

نصائح مهمّة

أداء التكليف أهم من النصر

أيها المجاهدون.. اصبروا في مواطن الجهاد، وتواصوا بالصبر، وادعوا الآخرين إلى التمسك بالصبر والاستعانة به.. لا تتزلزلوا ولا تهنوا تجاه الهزائم الظاهرية، فمن أجل أداء التكليف نقاتل، ومن أجل الدفاع عن الدين والمال والعرض والروح نجاهد، ولم يشرع الرسول صلى الله عليه وآله الجهاد إلاّ من أجل الدفاع أوّلاً، فلم يكن الإسلام مهاجماً أو معادياً أو معتدياً لأي بشر أو لأيّ ديانة من الديانات السابقة.

ولهذا نهض الإمام الحسين عليه السلام، وما كانت ثورته من أجل الانتصار أساساً، بل من أجل أداء الواجب الإلهي.. وكلما كان البعض ينصحونه كما يدّعون بترك الثورة كان يرفض ما يقولون ويردّ قائلاً: «شاء الله أن يراني قتيلا». فهناك مشيئة إلهية وأمر ربّاني.

في الحرب وساحات القتال أيضاً كذلك، فالمهم فيها أداء الواجب الشرعي بأحسن وجه.. والقتال بتمام القوة والإمكانات.

وإذا كان الرأي الشخصي لأحد المجاهدين يتعارض مع أوامر القيادة فعليه التسليم لأوامر الإمام المعصوم عليه السلام وأن يضحّي بالتنازل عن رأيه وقناعته علماً يقيناً بأن كلام المعصوم عليه السلام هو وحي إلهي وأنّ الأوامر التي تصدر من الإمام المعصوم عليه السلام هو لمصلحة الإسلام والمسلمين.

قتل العدو ليس مسألة مهمة جداً، العمل الصعب والمهم هو تحمّل الرأي المخالف للقناعة الشخصية، والتنازل عن الرأي الشخصي حرصاً على مصلحة الإسلام.

اصبروا وصابروا.. ليكن لديكم صدرٌ واسعٌ بحيث تلتزمون الهدوء وتعملون لله سبحانه وتعالى.. وتصبرون حتى لو أساء البعض ممّن تحت إمرتكم القول، فإن السكوت هنا لرضا الله.

أيها المجاهدون الأعزاء في ساحات المواجهة، اصبروا أمام المصاعب والمحن لكي تستقبلكم الملائكة بالسلام والصلوات عليكم، ولكي تصلون إلى الدرجة التي يأتيكم معها الخطاب الإلهي: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾. [الفجر:٢٧-٣٠]

النتائج

يتّضح مما تقدم بعض الأُمور الرئيسة بالنسبة للمجاهد منها:

١. إنّ للجهاد شروطاً وآداباً على المجاهد أن يراعيها حتى يكون جهاده في سبيل الله، ويفوز بما وعده الله من الفضل العظيم، والكرامة في الدنيا والآخرة.

٢. من أهم هذه الشروط: القتال تحت راية الحق، طاعة القيادة، التقوى، الإخلاص، الصبر، التوكّل على الله، ذكر الله دائماً.

٣. التمرّد على القيادة وعدم طاعتها يدل على عبادة النفس والتعصّب للذات وهو ينافي مبدأ التسليم والعبودية.

٤. المجاهد إذا لم يكن مراعياً للحدود والواجبات الإلهية فسوف يكون عرضة لفتن النفس والأهواء المضلّة.

٥. الأعمال مرهونة بالنيات وإذا لم تكن النية خالصة فهذا يكشف عن وجود الشرك في القلب.

٦. الصبر الذي يعني القدرة على التحمّل والمقاومة والثبات مقدمة لبقية الفضائل والصفات.

٧. التوكل لا يعني ترك العمل بل هو استفراغ الوسع وبذل الجهد الأقصى والنتائج بيد الله وحده.

بقلم: الأستاذ مظاهري

موقف الشريعة من أبي طالب عليه السلام

أولاً: موقف الرسول صلى الله عليه وآله

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّ أبا طالب ويثني عليه طيلة حياته، ولا يمكن فصل حياة أبي طالب عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، كما هو واضح من خلال نصوص الروايات والأحاديث الواردة في حق أبي طالب عليه السلام، فهناك روايات مستفيضة ومتواترة تبيّن رأي رسول الله صلى الله عليه وآله في أبي طالب ومستوى العلاقة بينهما، كذلك وردت روايات كثيرة في دفاع أئمة أهل البيت عليهم السلام والصحابة عن هذه الشخصية العظيمة.

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: أن أبا طالب لمّا مات جاء علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فآذنه في موته فتوجع عظيماً وحزن شديداً، ثم قال له: «امض فتول غسله، فإذا رفعته على سريره فأعلمني»، ففعل فاعترضه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو محمول على رؤوس الرجال، فقال: «وصلتك رحم يا عم جزيت خيراً، فلقد ربيت وكفلت صغيراً ونصرت وآزرت كبيراً»، ثم تبعه إلى حفرته، فوقف عليه، فقال: «أما والله لأستغفرن لك ولأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان».(شرح نهج البلاغة:١٤/٨٦)

وقد أجاد الشيخ المفيد رحمه الله عندما علّق على هذا الحديث بقوله: في هذا الحديث دليلان على إيمان أبي طالب رضي الله عنه:

الأول: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام بغسله وتكفينه دون الحاضرين من أولاده، إذ كان من حضره منهم سوى أمير المؤمنين إذ ذاك على الجاهلية، لأن جعفراً رحمه الله كان يومئذ ببلاد الحبشة، وكان عقيل وطالب حاضرين وهما يومئذ على خلاف الإسلام، لم يسلما بعد، وأمير المؤمنين عليه السلام كان مؤمناً بالله تعالى ورسوله، فخصّ المؤمن منهم بولاية

أمره، وجعله أحقّ به منهما لإيمانه وخاصّته إياه في دينه.

ولو كان أبو طالب رضي الله عنه قد مات على ما يزعمه النواصب من الكفر، كان كل من عقيل وطالب أحقّ بتولي أمره من علي عليه السلام، ولما جاز للمسلم من ولده القيام بأمره لانقطاع العصمة بينهما.

وفي حكم رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام به دونهما وأمره إياه بإجراء أحكام المسلمين عليه من الغسل والتطهير والتحنيط والتكفين والموارة، شاهد صدق على إيمانه كما بيّناه.

الثاني: دعاء النبي صلى الله عليه وآله له بالخيرات، ووعده أمته فيه بالشفاعة إلى الله واتباعه بالثناء والحمد والدعاء، وهذه هي الصلاة التي كانت مكتوبة إذ ذاك على أموات أهل الإسلام، ولو كان أبو طالب - نعوذ بالله - قد مات كافراً؛ لما وسع رسول الله صلى الله عليه وآله الثناء عليه بعد الموت، والدعاء له بشيء من الخير، بل كان يجب عليه اجتنابه وإتباعه بالذم واللوم على قبح ما أسلفه من الخلاف له في دينه، كما فرض الله عزّ وجل ذلك عليه للكافرين، حيث يقول: ﴿ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ... ﴾.[التوبة:٨٤] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾.[التوبة:١١٤]

وإذا كان الأمر على ما وصفناه؛ ثبت أن أبا طالب رضي الله عنه، مات مؤمناً بدلالة فعله ومقاله صلى الله عليه وآله. (إيمان أبي طالب:٢٧)

جاء في تاريخ الطبري: لما مات أبو طالب؛ نالت قريش من النبي صلى الله عليه وآله، من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه بناته تغسل عنه التراب وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: «يا بنيّة فإن الله مانع أباك، ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب». (تاريخ الطبري:٢/٨٠. الغدير:٧/٣٧٦)

وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «هبط جبرئيل فقال لي: يا محمد! إنّ الله عزّ وجلّ مشفعك في ستة: بطن حملتك آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك أبو طالب، وبيت آواك عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية، وثدي أرضعك حليمة بنت أبي ذؤيب. (التعظيم والمنّة للحافظ السيوطي:٢٥)

ثانياً: موقف الأئمة عليهم السلام

١. ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام

تصدّى أمير المؤمنين لحملة تكفير أبيه في حينها، فقال: «كان والله أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب، مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم أن ينبذها قريش. (الغدير:٧/٣٨٨)

وقال أيضاً: «ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرضا». (الغدير:٧/٣٨٩)

٢. ما روي عن الإمام الحسين عليه السلام

واجه الإمام الحسين عليه السلام هذه الدعوة، فقال عن والده أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّه كان جالساً في الرحبة والناس حوله فقام إليه رجل، فقال له: يا أمير المؤمنين! إنّك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذّبٌ في النار؟ قال له: مه! فضَّ الله فاك، والذي بعث محمداً بالحق نبيّاً، لو شفع أبي من كل مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله، أأبي معذبٌ في النار وابنه قسيم الجنة والنار؟ والذي بعث محمداً بالحق، إنّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلائق إلاّ خمسة أنوار: نور محمد ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين ونور ولده من الأئمة، ألا إنّ نوره من نورنا خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام» (كنز الفوائد للمحدث الكراجكي:١/١٨٣)

٣. ما روي عن الإمام السجاد عليه السلام

دافع الإمام علي بن الحسين السجّاد عليهما السلام عن جدّه أبي طالب، وحاول إحباط تلك المزاعم التي تُبَثّ في أوساط الناس حول كفر أبي طالب، حيث يستهدف منها النيل من علي وولده، فأجاب الإمام السجاد عندما سُئل عن أبي طالب أكان مؤمناً؟ فقال عليه السلام: «نعم»، فقيل له: إنّ هاهنا قوماً يزعمون أنه كافر؛ فقال عليه السلام: «واعجباً كل العجب! أيطعنون على أبي طالب أو

على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نهاه الله تعالى أن يقرن مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن، ولا يشك أحد أن فاطمة بنت أسد رضي الله تعالى عنها من المؤمنات السابقات، فإنّها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب رضي الله عنه». (شرح نهج البلاغة:١٤/٦٩)

٤. ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام

روي عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام في أبي طالب عليه السلام عن أبي بصير ليث المرادي، قال قلت لأبي جعفر عليه السلام: سيّدي! إنّ الناس يقولون: إنّ أبا طالب في ضحضاح من النار يغلي منه دماغه، فقال عليه السلام: «كذبوا والله إنّ إيمان أبي طالب لو وضع في كفّة الميزان وإيمان هذا الخلق في كفّة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم» ثم قال: «ألم تعلموا أن أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام، كان يأمر أن يحجّ عن عبد الله وابنه وأبي طالب في حياته ثمّ أوصى في وصيّته بالحج عنهم». (الغدير:٧/٣٨٠)

٥. روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام

عن يونس بن نباتة عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «يا يونس! ما يقول الناس في أبي طالب؟» قلت: جعلت فداك يقولون: هو في ضحضاح من نار يغلي منها أُمّ رأسه فقال: «كذب أعداء الله، إنّ أبا طالب من رفقاء النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً». (ثواب الأعمال وعقاب:١٢٣)

وقال عبد الرحمن بن كثير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ الناس يزعمون أن أبا طالب في ضحضاح من نار، فقال: «كذبوا، ما بهذا نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله»، قلت: وبما نزل؟ قال: «أتى جبرائيل في بعض ما كان عليه، فقال: يا محمّد! إنّ ربّك يقرئك السلام ويقول لك: إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرّتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة»، ثم قال: «كيف يصفونه بهذا؟ وقد نزل جبرائيل ليلة - ليلة مات أبو طالب - فقال: يا محمد! اخرج من مكة، فمالك بها ناصر بعد أبي طالب». (إيمان أبي طالب:٣٦٢)

٦. ما روي عن الإمام الكاظم عليه السلام

عن درست بن أبي منصور أنّه سأل أبا الحسن الأوّل الإمام الكاظم عليه السلام أكان رسول الله صلى الله عليه وآله محجوجاً بأبي طالب؟ فقال: «لا، ولكنه كان مستودعاً للوصايا فدفعها إليه». فقال: قلت: فدفع إليه الوصايا على أنه محجوجٌ به؟ فقال: «لو كان محجوجاً به ما دفع إليه الوصيّة». قال: قلت: فما كان حال أبي طالب؟ قال: «أقرّ بالنبيّ وبما جاء به ودفع إليه الوصايا ومات من يومه». (الكافي الشريف:١/٤٤٥)

٧. ما روي عن الإمام الرّضا عليه السلام

أ: أخرج شيخنا الكراجكي بإسناده عن أبان بن محمد، قال: كتبت إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، جعلت فداك إنّي قد شككت في إسلام أبي طالب، فكتب إليه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾. [النساء:١١٤]، إنّك إن لم تقرّ بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار». (كنز

الفوائد:١/١٨٣)

ب: روى أبو الفتوح في تفسيره عن الإمام الرضا سلام الله عليه، أنّه روى عن آبائه بعدّة طرق: إنّ نقش خاتم أبي طالب عليه السلام كان رضيت بالله ربّاً، وبابن أخي محمد نبيّاً، وبابني علي له وصيّاً. (كنز الفوائد:١/٨٠)

ثالثاً: شهادة الصحابة بإسلام أبي طالب عليه السلام

١. عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله بأبي قحافة يقوده وهو شيخ كبير أعمى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي بكر: «ألا تركت الشيخ حتى نأتيه»، فقال: أردت يا رسول الله أن يأجرني الله، أما والذي بعثك بالحق لأن كنت أشدّ فرحاً بإسلام عمّك أبي طالب منّي بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرة عينك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «صدقت». (تفسير الرازي:٤/٢١١)

٢. أخرج أبو جعفر الصدوق قدس سره في الأمالي بإسناده عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس أنّه سأله رجل، فقال له: يا بن عم رسول الله! أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً؟ قال: وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل:

وقد علموا أنّ ابننا لا مكذّب لدينا ولا يعبأ بقيل الأباطل

إنّ أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف حين أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرتين. (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب:١٤/٧٠)

وجاء عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: أخبرني أبي أنّ أبا طالب رضي الله عنه شهد عند الموت أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله. (الغدير:٧/٣٩٧)

٣. في تفسير الوكيع من طريق أبي ذر الغفاري، أنّه قال: والله الذي لا إله إلاّ هو، ما مات أبو طالب رضي الله عنه حتى أسلم بلسان الحبشة قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: «أتفقه الحبشية؟» قال: يا عمّ! إنّ الله علّمني جميع الكلام، قال: يا محمد! (اسدن لمصاقا قاطالاها) يعني أشهد مخلصاً لا إله إلاّ الله، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «إنّ الله أقرّ عيني بأبي طالب». (الغدير:٧/٣٩٨)

٤. أخرج أبو الفتوح الإصفهاني بالإسناد عن محمد بن حميد قال: حدّثني أبي، فقال: سئل أبو الجهم بن حذيفة: أصَلّى النبي صلى الله عليه وآله على أبي طالب؟ فقال: وأين الصلاة يومئذ؟ إنما فرضت الصلاة بعد موته، ولقد حزن عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر عليّاً بالقيام بأمره وحضر جنازته وشهد له العبّاس وأبو بكر بالإيمان، وأشهد على صدقهما لأنّه كان يكتم إيمانه، ولو عاش إلى ظهور الإسلام; لأظهر إيمانه. (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب:٣٠٠)

٥. قال ابن أبي الحديد: قالوا: وقد روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب، وبعضها عن أبي بكر ابن أبي قحافة، أن أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله؛ والخبر المشهور أن أبا طالب قال عند الموت كلاماً خفيّاً، فأصغى إليه أخوه العباس، ثم رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يابن أخي! والله قد قالها عمّك، ولكنّه ضعف عن أن يبلغك صوته. (شرح النهج:١٤/٧١)

وفي كلام آخر لابن أبي الحديد وهو بصدد ذكر قطعية إسلام أبي طالب في نظر معاصريه قال:

ولولا أبو طالب وابنه
لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى
وهذا بيثرب جس الحماما
تكفل عبد مناف بأمر
وأودى فكان عليٌّ تماما
فقل في ثبير مضى بعدما
قضى ما قضاه وأبقى شماما
فلله ذا فاتحاً للهدى
ولله ذا للمعالي ختاما
وما ضر مجد أبي طالب
جهول لغا أو بصير تعامى
كما لا يضر إياة الصباح
من ظن ضوء النهار الظلاما

(شرح نهج البلاغة:١٤/٧٩)

بقلم: أحمد عبد الحسن البحراني

خديجة عليها السلام سيدة نساء قريش

اتفقت النصوص على أن السيدة خديجة عليها السلام كانت من أفضل نساء قريش في مكة، في خلقها وخلقها وجميع مواهبها.

وهي بالإضافة إلى ذلك كانت من أثرياء مكة ومن كبار تجارها، الذين كانوا يستوردون البضاعة من الشام، ويصدّرون إليها كل ما يدخل إلى الحجاز.

وقد جمعت السيدة خديجة إلى ثروتها المادية الشرف والعفة والكرم، فقد أصبحت تعد السيدة الأولى في مكة آنذاك.

ولهذا كان الناس يدعونها في الجاهلية بـ(الطاهرة)، وعرفت بـ(سيدة قريش).

سادت مولاتنا خديجة الكبرى عليها السلام نساء عصرها بما عرفت به من علم ومعرفة وأدب وحكمة وطهر وعفة وورع عن فعال الجاهلية حتى قبل الإسلام، قال الزبير بن بكار ضمن حديثه عنها: وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة، وجاء في كتاب إسعاف الراغبين وكانت تدعى سيدة قريش.

وقد ذكر المحققون من المؤرخين أنها ولكريم خصالها ومحاسن أفعالها تقدم لخطبتها أشراف قريش ووجهاؤها لكنها كانت ترفض الزواج من أي منهم لأنّها كانت موعودة في رؤيا إلهية صادقة بأن تكون زوجة خاتم الأنبياء صلى اللّه عليه وآله ووعاءه لابنته أُمّ الأئمة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام اللّه عليها.

ولذلك صرح المحققون من العلماء أنّها لم تتزوج أحداً قبل رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وما ذكره المؤرخون من زواجها قبله فهو من مفتريات بني أُمية أشاعوها للإساءة إليها وافتعال مناقب موهومة لبعض زوجاته صلى اللّه عليه وآله.

والمطالع لما روته المصادر المعتبرة بشأن كيفية اقتران سيدتنا خديجة الطاهرة بخاتم الأنبياء صلى اللّه عليه وآله يرى جميل الصنع والتدبير الإلهي في اقتران هذين النورين تمهيداً لتشكيل البيت الأول في الإسلام وتكامل عناصر قيام هذا الدين الإلهي ببركة من فيه.

لقد نذرت سيدتنا الطاهرة عليها السلام كل وجودها لنبي الرحمة صلى اللّه عليه وآله وسخرت له ثروتها الكبيرة التي حباها اللّه بها من الرزق الحلال، وخدمته بكل طاقاتها، فكانت الأمة الصالحة المطيعة للّه ورسوله المتفانية في خدمة رسول اللّه وإعانته في إيصال الهدى الإلهي للعالمين ومواساته في الأذى الذي تحمله من قومه.

وبذلك كانت لها المنزلة الرفيعة عند اللّه عزّ وجلّ بحيث يخصها بسلامه وتحياته ورحماته.

ورد في صحيح الروايات عن زرارة وحمران بن أعين ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله قال: إنّ جبرئيل قال لي ليلة أُسري بي وحين رجعت فقلت: يا جبرئيل هل لك من حاجة فقال: حاجتي أن تقرأ على خديجة من اللّه ومني السلام... حين لقيها نبي اللّه عليه وآله السلام فقال لها الذي قال جبرئيل، قالت: إنّ اللّه هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعلى جبرئيل السلام». (تفسير العياشي:٢/٢٨٠)

وقد ثبت في صحاح الأخبار أنها سلام اللّه عليها أفضل زوجاته وأحبهن إليه وسيدة نساء زمانها وهي

أفضل نساء العالمين بعد ابنتها الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

لقد كانت خديجة عليها السلام المرأة الوحيدة التي تقف إلى جنب رسول الله - صلى الله عليه وآله - وتشهد أوضاعه والتحولات المتواصلة في حياته باتجاه الرسالة لقد جاورت معه في حراء في شهر رمضان الشهر الذي هبط فيه الوحي وسمعت منه قصة نزوله في لحظاته الأولى وحاورته واستقبلته، وهو - صلى الله عليه وآله - يستشعر ثقل آثار الوحي على جسده، لقد شهدت المواقف كلها وتستقبل خديجة عليها السلام خبر الوحي وما جرى لمحمد - صلى الله عليه وآله - في غار حراء بالتصديق فقد حدثها - صلى الله عليه وآله - بنزول الوحي وتكليم جبريل عليه السلام ونزول الآيات الخمس الأولى من سورة العلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وتستجيب خديجة عليها السلام وتصدق محمداً - صلى الله عليه وآله - من غير معارضة ولا تشكيك ولا جدال في الدليل فكأنها تنتظر النبوة كما كان ينتظرها محمد - صلى الله عليه وآله - وتسلم خديجة عليها السلام وتشهد بنبوة محمد - صلى الله عليه وآله - فكانت أول امرأة أسلمت على وجه الأرض.

ثم انتقلت خديجة من دورها السابق، إلى دور جديد في مؤازرته ومعاونته في تبليغ الدعوة، ومواجهة المشركين وإعراضهم وعدوانهم.

عن عبد الله بن عباس قال: (كانت خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله ورسوله بعد علي عليه السلام، وصدق محمداً رسول الله فيما جاء به عن ربه وآزره على أمره، فكان لا يسمع من المشركين شيئًا يكرهه من ردٍ عليه وتكذيبٍ له، إلاّ فرّج الله عنه بها، تثبته وتصدقه وتخفف عنه، وتهوّن عليه ما يلقى من قومه).

إنّ في حياة خديجة لعبرة لكل امرأة تبحث عن قيمتها في الحياة لقد تجردت خديجة من ثروتها الواسعة وحياة الترف والنعيم فزهدت بكل ذلك ووهبت كل ما تملك للدعوة إلى الله حتى ظلت تبيت على جلد كبش كما تنقل الروايات وتبيت الليالي من غير طعام في شعب الحصار لقد اختارت الآخرة على الدنيا اختارت نصرة الحق على الباطل اختارت الوقوف إلى جنب محمد - صلى الله عليه وآله -.

وبذا عرفت قيمتها في الحياة وعرفت قيمة الحياة ليست هي البذخ والترف والتأنق في الطعام والشراب واللباس وإن أبيح التأنق فيها إنّما قيمة الإنسان المرأة والرجل في موقفه عندما يصطرع الحق والباطل.

توفيت خديجة بنت خويلد بعد وفاة عم النبي أبي طالب ابن عبد المطلب بثلاثة أيام وقيل بأكثر من ذلك، في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، ولها من العمر خمس وستون سنة، وكان مقامها مع رسول الله بعدما تزوجها أربعًا وعشرين سنة وستة أشهر، ودفنها رسول الله بالحجون ولم تكن الصلاة على الجنائز يومئذ، وحزن عليها النبي ونزل في حفرتها، وتتابعت على رسول الله بموت أبي طالب وخديجة المصائب لأنهما كانا من أشد المعضدين له المدافعين عنه، فاشتد أذى قريش عليه حتى نثر بعضهم التراب على رأسه وطرح بعضهم عليه سلى الشاة وهو يصلي، وسُمي العام الذي مات فيه أبو طالب وخديجة بعام الحزن.

ولم ينسَ رسول الله محبته لخديجة بعد وفاتها وكان دائماً يثني عليها ولم يتزوج عليها حتى ماتت إكراماً لها، وقد كانت مثال الزوجة الصالحة الوفية، فبذلت نفسها ومالها لرسول الله وصدقته حين نزل عليه الوحي.

فسلام الله على سيدتنا خديجة عليها السلام أُمّ البتول الزهراء سلام الله على جهادها وعطائها وكل تضحياتها ومواجهتها لقريش في سبيل رفعة الدين المحمدي وإعلاء شأن التوحيد وكلمة الحق.

بقلم: السيد إبراهيم الهاشمي

من هـــي أمّ الأقمار؟

من هي أُمّ البنين؟

(أُمّ البنين) هي كنية فاطمة الكلابية، ولا شكّ في أنّ الكُنية قد غلبت على الاسم، وذلك لأمرين:

الأوّل: لأنّها كُنّيت بـ(أُمّ البنين) تشبّهاً وتيمّناً بجدّتها ليلى بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، حيث كان لها خمسة أبناء أكبرهم أبو براء مُلاعب الأسنّة، وقد قال لبيد الشاعر للنعمان ملك الحيرة مفتخراً بنسبه ومشيراً إليها:

نحن بنو أُمّ البنين الأربعة
ونحن خيرُ عامر بنِ صعصعة
الضاربونَ الهامَ وسطَ المجمعة

أمّا السبب الثاني في غلبة الكنية فهو التماسها أن يقتصر أميرُ المؤمنين عليه السّلام في ندائِه عليها، على الكنية، لئلاّ يتذكّر الحسنانِ عليهما السّلام أُمّهما فاطمة صلوات الله عليها يوم كان يناديها في الدار، إذْ إنّ اسم أمّ البنين هو (فاطمة) الكلابيّة من آل الوحيد، وأهلُها هم من سادات العرب وأشرافهم وزعمائهم وأبطالِهم المشهورين، وأبوها أبو المحلّ واسمُه حزام بن خَالد بن ربيعة.

فأمّ البنين عليها السّلام تنحدر من آباء وأخوال عرفهم التاريخ وعرّفهم بأنّهم فرسان العرب في الجاهليّة، سطّروا على رمال الصحراء الأمجاد المعروفة في المغازي فتركوا الناس يتحدثون عن بسالتهم وسؤددهم، حتّى أذعن لهم الملوك، وهمُ الذين عناهم عقيلُ بن أبي طالب بقوله لأخيه الإمام عليّ سلام الله

عليه: «(ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس). (عمدة الطالب:٣٢٤)

النشأة الكريمة

اختار الله تعالى أُمّ البنين سلام الله عليها أنْ تنشأ في منبت طاهر، في بيت شجاعة وكرم.

وقد كان أبوها حزام مسافراً يوماً ما فرأى في نومه كأنّه جالسٌ في أرض خصبة، منعزلاً عن جماعته وبيده درّة يقلّبها متعجّباً من رونقها، فإذا برجل أقبل إليه من صدر البريّة على فرس له، سلّم عليه، فردّ حزامٌ السلام عليه، ثمّ قال الرجل: بكم تبيع هذه الدرّة، قال: لا أعرف قيمتَها، ولكنْ بكم تشتريها أنت؟ فقال الرجل: لا أعرف قيمتها لكن اهدِها إلى أحد الأمراء وأنا الضامنُ لك بشيءٍ هو أغلى من الدراهم والدنانير، قال: ما هو؟ قال: أضمنُ لك بالحظوة عنده والزلفى والشرف والسؤدد أبد الآبدين. قال له حزام: وتكون أنت الواسطة؟ قال: نعم، أعطني إيّاها.

فأعطاها، فلمّا انتبه حزام من نومه قصّ رؤياه على جماعته وطلب تأويلها، فقال له أحدهم: إنْ صدقتْ رؤياك فإنّك تُرزق بنتاً يخطبها منك أحد العظماء، وتنال عنده بسببه القُربى والشرفَ والسؤدد.

فلمّا عاد من سفره بُشّر حزام بأنّ زوجته ثمامة بنت سهيل قد وضعتْ بنتاً، فتهلّل وجهه وسُرّ بها، فقيل له: ما نُسمّيها، فقال: سمّوها فاطمة، وكنّوها بـ(أمّ البنين).

فنشأتْ بين أبوينِ شريفين عُرِفا بالأدب والعقل، وقد حباها الله سبحانه بجميل ألطافه، إذْ وهبها نفساً حرّةً عفيفةً طاهرة، وقلباً زكيّاً سليماً، ورزقها الفطنة والعقل الرشيد، فلمّا كبرتْ كانتْ مثالاً شريفاً بين النساء في الخُلق الفاضل الحميد، فجمعت إلى النسب الرفيع حسباً منيفاً، لذا وقع اختيار عقيل عليها لأنْ تكون قرينة أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام.

الاقتران المبارك

أراد الإمام عليّ سلام الله عليه أن يتزوّج من امرأة تنحدر عن آباء شجعان كرام، يضربون في عروق النجابة والإباء، ليكون له منها بنون ذوو خصالٍ طيّبة عالية، لهذا طلب أميرُ المؤمنين عليه السّلام من أخيه عقيل وكان نسّابة عارفاً بأخبار العرب أنْ يختار له امرأةً من ذوي البيوت والشجاعة، فأجابه عقيل قائلاً: أخي، أين أنت عن فاطمة بنت حزام الكلابيّة، فإنّه ليس في العرب أشجع من آبائها.

ثم مضى عقيلٌ إلى بيت حزام ضيفاً على فراش كرامته، وكان خارج المدينة المنوّرة، فأكرمه حزام ذلك الإكرام، حتّى إذا مضت ثلاثة أيّام مدّة الضيافة سأل حزام عن حاجة عقيل، فأخبره أنّه قادمٌ عليه بالشرف الشامخ، والمجد الباذخ، يخطبُ ابنتَه الحرّة إلى سيّد الأوصياء (عليّ) عليه السّلام.

فلمّا سمع حزام ذلك هشّ وبشّ، وشعر بأنّ الشرف ألقى كلاكله عليه إذْ يصاهر ابنَ عمّ المصطفى صلّى الله عليه وآله، ومَنْ يُنكر علياً وفضائله، وهو الذي طبّق الآفاق بالمناقب الفريدة.

وكأنّ حزاماً تمهّل قليلاً وهو لا يرى امرأةً تليقُ بأمير المؤمنين عليه السّلام، فذهب إلى زوجته يشاورها في شأن الخِطبة، فرأى ابنته بين يديها وهي تقصّ عليها رؤياها.

فاستمع إليها دونَ أن تراه وهي تقول: كأنّي جالسة في روضة ذات أشجار مثمرة، وأنهار جارية، وكانت السماء صاحية والقمرُ مشرقاً والنجوم طالعة، وأنا أفكّر في عظمة الله من سماءٍ مرفوعة بغير عمد، وقمرٍ منير وكواكب زاهرة، وإذا بي أرى كأنّ القمر قد انقضّ من كبد السماء ووقع في حِجري وهو يتلألأ نوراً يَغشى الأبصار، فعجبتُ من ذلك، وإذا بثلاث نجوم زواهر قد وقعن في حجري، وقد أغشى نورُهنّ بصري، فتحيّرتُ في أمري ممّا رأيت، وإذا بهاتفٍ قد هتف بي، أسمعُ منه الصوت ولا أرى شخصه، وهو يقول:

بُشراكِ فاطمة بالسادةِ الغُررِ
ثلاثةِ أنجمٍ والزاهرِ القمرِ
أبوهمُ سيّدٌ في الخلْق قاطبةً
بعد الرسول كذا، قد جاء في الخبرِ

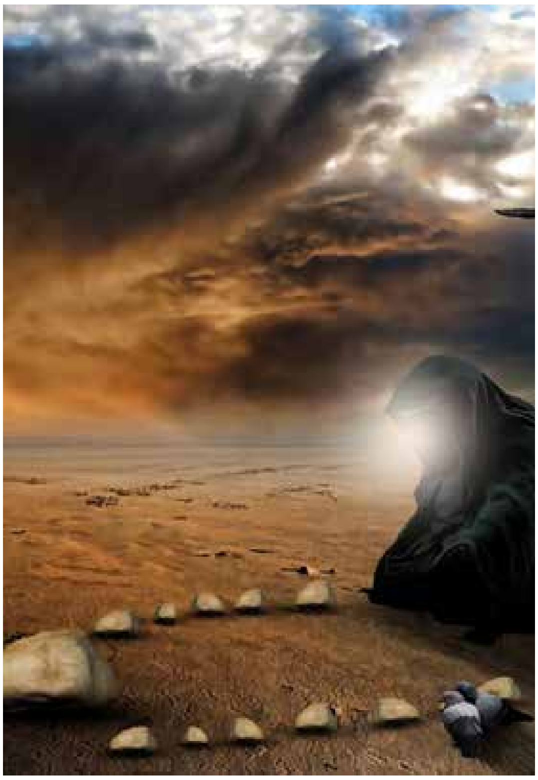

فعاد حزام يبشّر نفسه وعقيلاً وقد غمره السرور وخفّت به البشارة، وكان الزواج المبارك على مهرٍ سَنّه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في زوجاته وابنته فاطمة عليها السّلام، وهو خمس مئة درهم.

مجمع المكارم

أضافت أُمّ البنين عليها السّلام إلى أصالتها ملَكاتٍ شريفةً تفتّقت بعد اقترانها بأمير المؤمنين عليه السّلام حيث عاشتْ معه أياماً انتفعتْ فيها من نفحاتِهِ العاطرة، فكانت كما وصفها الشيخ جعفر النقديّ بقوله: (من النساءِ الفاضلاتِ، العارفات بحقّ أهل البيت عليهمُ السّلام، وكانتْ فصيحة بليغةً ورعة ذات زهدٍ وتقىً وعبادة، ولجلالتها زارتها زينبُ الكبرى سلام الله عليها بعد منصرفها مِن واقعة الطفّ، كما كانتْ تزورها أيّام العيد).

وقال السيّد المقرّم في حقّها: (كانت أُمّ البنين من النساء الفاضلات، مخلصةً في ولائها لأهل البيت عليهم السّلام ممحضةً في مودّتهم، ولها عندهُم الجاهُ الوجيه، والمحلُّ الرفيع، وقد زارتْها زينبُ الكبرى عليها السّلام بعد وصولها المدينة تُعزّيها بأولادها الأربعة).(أُم البنين:١٠٢)

وإذا تميّزت هذه المرأة الطاهرة بخصائصها الأخلاقية، فإنّ مِن صفاتها الظاهرة المعروفة فيها: الوفاء، فعاشت مع أميرِ المؤمنين عليه السّلام في صفاءٍ وإخلاص، وعاشتْ بعد شهادته سلام الله عليه مدّة طويلةً لم تتزوّج من غيره، كما أنّ زوجاته الأُخرَيات: أمامة وأسماء بنت عميس وليلى النهشليّة لم يخرجنَ إلى أحدٍ بعده.

وقد خطب المغيرةُ بنُ نوفل أمامة، ثمّ خطبها أبو الهياج بن أبي سفيان بن الحارث فامتنعتْ، وروت حديثاً عن عليّ عليه السّلام أنّ أزواج النبيّ والوصيّ لا يتزوّجن بعده.

وإذا كان بعضُ أزواج النبيّ صلّى الله عليه وآله تُدركُهنّ الغيرةُ من خديجة عليها السّلام بعد وفاتها لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يذكرها فيُحسن الثناء عليها، فانَّ أُمّ البنين كانتْ تحبُّ الزهراء سلام الله عليها أشدَّ الحبّ وكانتْ على غاية الوفاءِ والإخلاص مع سيّدة نساءِ العالمين فاطمة عليها السّلام، فحينما اقترنتْ بمولاها عليّ عليه السّلام، ودخلتْ بيتَه الشريف رأتِ الحسنَ والحسين صلوات الله عليهما مريضين، فأخذتْ تُلاطفهما وتضاحكهما وتُحسن القول معهما وتُطيّبه، وكأنّها تُريد أنْ تَجبرَ يُتْمَهما بأُمّهما الزهراء عليها أفضل السّلام، وترجّت أميرَ المؤمنين عليه السّلام أن يناديَها بأُمّ البنين كنيتها، لا فاطمة اسمها فيتذكّرا أُمّهما ويحزنا عليها.

ومضتْ على تلك السيرة الحسنة معهما تنكَبُّ عليهما كالأُمّ الحنون، هما وأُختهما زينب عليها السّلام بل ذكر بعضُ أصحاب السير أن شفقتها على أولاد الزهراء عليها السّلام. وعنايتها بهم كانتْ أكثر من شفقتها وعنايتها بأولادها الأربعة: العبّاس وإخوته، عليها وعليهم السّلام، بل هي التي دفعتهم لنصرة إمامهم وأخيهم أبي عبد الله الحسين عليه السّلام، والتضحية

دونه والاستشهاد بين يديه.

وكان من وفائها أنّها لمّا دخل بشْر بنُ حذلم إلى المدينة ناعياً سيّد الشهداء الحسين عليه السّلام خرجتْ تسأل عن الحسين عليه السّلام مذهولةً عن أبنائها الأربعة، فلمّا سأل عنها بشْر قيل له: هذه أمّ البنين، فقال لها: عظّم اللهُ لكِ الأجر بولدِك جعفر.. وعثمان.. وعبد الله، وهي تقول له في كلّ مرة: خبّرْني عن الحسين، أحيٌّ هو أم لا؟ فتعجّب بشرٌ منها وهو الذي دخل المدينة ينادي بأهلها – كما أمره الإمام زينُ العابدين عليه السّلام –:

يا أهلَ يثربَ لا مُقامَ لكم بها

قُتل الحسين، فأدمعي مِدرارُ

الجسمُ منه مضرّجٌ في كربلا

والرأسُ منه على القناةِ يُدارُ

فقال لها: عظّمَ اللهُ لكِ الأجرَ بأبي الفضل العباس، فسقط مِن يدها طفلٌ لعلّه هو (عبيد الله بن العباس) وكان رضيعاً تحملُه معها، فقالتْ له: قطّعتَ نياطَ قلبي، هل سمعتني سألتُك عن أحد، خبّرني عن الحسين، فاضطُرّ بشرٌ هنا لأنْ يقول لها: عظّم اللهُ لكِ الأجر بأبي عبد الله الحُسين، فسقطت مغشيّاً عليها.

قال الشيخ عبدُ الله المامقاني: (يُستفاد قوةُ إيمانها وتشيّعها أنَّ بشراً كلّما نعى إليها واحداً من أولادها قالتْ: أخبرني عن أبي عبد الله.. أولادي ومَن تحت الخضراء كلّهم فداءٌ لأبي عبد الله الحسين. إنّ عُلقتها بالحسين عليه السّلام ليس إلاّ لإمامته، وتهوينها على نفسها موت هؤلاءِ الأشبال الأربعة إنْ سلم الحسين يكشف عن مرتبة في الديانة رفيعة).

وبعد ذلك.. أقامتْ أمُّ البنين العزاءَ على الحسين عليه السّلام، واجتمع عندها نساء بني هاشم يندبنه وأهل بيته.

وكانتْ تخرج إلى البقيع كلَّ يوم وقد عملتْ خمسة قبور رمزيّة، أربعةً لأولادها وواحداً لابن الزهراء الحسين عليه السّلام ترثيه، فيجتمع لسماع رثائها نساءُ المدينة، فيبكي الناس – وفيهم مروانُ بنُ الحكم – لشجيّ ندبتها.

وهذا يدلّ على عِظم فاجعتها، وصدق حديثها، ووفائها وإخلاصها، فلو صحّ بكاءُ مروان فتلك كرامةٌ لها وقد أبكتْ مَنْ قلبُه أشدُّ من الحجارة قسوة.

ولقد كانتْ أُمّ البنين عليها السّلام تشاطر زينب عليها السّلام في مصيبتها، حيث استقبلتْها في المدينة واعتنقتها وبكتْ معها طويلاً، وجلستْ معها مجالس العزاء. ولذا رأينا أهل البيت عليهم السّلام ينظرون إليها بعين الكرامةِ والإكبار، وتحظى عندهم بتلك المنزلة العظيمة في قلوبهم ويذكرونها بالتبجيل والإكرام.

ممّا لابُدّ منه

وبعد عمرٍ طاهر قضتْه أمُّ البنين عليها السّلام بين عبادةٍ لله جلّ وعلا وأحزانٍ طويلةٍ على فقد أولياء الله سبحانه، وفجائع مذهلة بشهادة أربعة أولادٍ لها في ساعةٍ واحدة مع حبيب الله الحسين عليه السّلام، وبعد شهادة زوجها أمير المؤمنين عليه السّلام في محرابه.. بعد ذلك كلّه وخدمتها لسيّد الأوصياء وولديه الإمامين سبطَي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسيّدي شباب أهل الجنّة، وخدمتها لعقيلة بني هاشم زينب الكبرى صلوات الله عليها، أقبل الأجَلُ الذي لابُدَّ منه، وحان موعدُ الحِمام النازل على ابن آدم.

فكانتْ وفاتُها المؤلمة في الثالث عشر مِن جمادى الآخرة سنة ٦٤ من الهجرة النبوية الشريفة – كما ذكر البيرجنديّ في كتابه (وقائع الأيّام).

وقال السيد محمد باقر القره باغي في كتابه (كنز المطالب)، وغيرهما حيث جاء في (الاختيارات) عن الأعمش قال: (دخلتُ على الإمام زين العابدين (عليّ ابن الحسين) عليه السّلام في الثالث عشر من جمادى الآخرة، وكان يوم جمعة، فدخل الفضلُ بنُ العبّاس وهو باكٍ حزين، يقول له: لقد ماتتْ جَدّتي أمُّ البنين).

فسلامٌ على تلك المرأة النجيبة الطاهرة، الوفيّة المخلصة، التي واست الزهراء عليها السّلام في فاجعتها بالحسين عليه السّلام، ونابتْ عنها في إقامة المآتم عليه، فهنيئاً لها ولكلّ من اقتدت بها من المؤمنات الصالحات.

شعبة الدراسات والبحوث
عن مصادره بتصرف

من هو جعفر التواب؟

جاء عن الحسين بن حمدان أنّه قال: حدثني أبو الحسين ابن يحيى الخرقي، وأبو محمد جعفر بن إسماعيل الحسني، والعباس بن أحمد، وأحمد بن سندولا، وأحمد بن صالح، ومحمد بن منصور الخراساني، والحسن بن مسعود الفزاري، وعيسى بن مهدي الجوهري الجنبلاني، والحسين بن غياث الجنبلاني، وأحمد بن حسان العجلي الفزاري، وعبد الحميد ابن محمد السراج، جميعاً في مجالس شتى: أنهم حضروا وقت وفاة أبي الحسن بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق صلوات الله عليهم، والصلاة بسر من رأى، فإنّ السلطان لما عرف خبر وفاته أمر سائر أهل المدينة بالركوب إلى جنازته، وأن يحمل إلى دار السلطان حتّى يصلّي عليه، وحضرت الشيعة وتكلّموا وقال علماؤهم: اليوم يَبِينُ فضل سيّدنا أبي محمّد الحسن بن علي على أخيه جعفر، ونرى خروجهما مع النعش.

قالوا جميعاً: فلما خرج النعش وعليه أبو الحسن، خرج أبو محمد حافي القدم مكشوف الرأس، محلل الإزرار خلف النعش، مشقوق الجيب مُخْضَلَّ اللحية بدموع على عينيه، يمشي راجلاً خلف النعش، مرةً عن يمين النعش ومرةً عن شمال النعش، ولا يتقدّم النعش.

وخرج جعفر أخوه خلف النعش بدراريع يسحب ذيولها، معتمٌّ محبتكُ الإزار، طلق الوجه، على حمار يماني، يتقدّم النعش.

فلمّا نظر إليه أهل الدولة وكبراء الناس والشيعة، ورأوا زي أبي محمد وفعله، ترجل الناس وخلعوا أخفافهم، وكشفوا عمائمهم، ومنهم من شقّ جيبه، وحل إزاره، ولم يمش بالخفاف من الأمراء وأولياء السلطان أحد، فأكثروا اللعن والسب لجعفر الكذاب، وركوبه وخلافه على أخيه.

لما تلا النعش إلى دار السلطان سبق بالخبر إليه، فأمر بأن يوضع على ساحة الدار على مصطبة عالية كانت على باب الديوان، وأمر أحمد بن فتيان وهو المعتمد بالخروج إليه والصلاة عليه، وأقام السلطان في داره للصلاة عليه إلى صلاة العامة، وأمر السلطان بالإعلان والتكبير، وخرج المعتمد بخف وعمامة ودراريع فصلّى عليه خمس تكبيرات، وصلّى السلطان بصلاتهم.

وبقي الإمام أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام ثلاثة أيام مردود الأبواب، يُسمع من داره القراءة والتسبيح والبكاء، ولا يؤكل في الدار إلا خبز الخشكار والملح، ويشرب الشربات.

وجعفر بغير هذه الصفة، ويفعل ما يقبح ذكره من الأفعال.

قالوا جميعاً: وسمعنا الناس يقولون: هكذا كنا نحن جميعاً نعلم ما عند سيّدنا أبي محمّد الحسن من شقّ جيبه.

قالوا جميعاً: فخرج توقيع منه عليه السلام في اليوم الرابع

من المصيبة. «بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فممن شقّ جيبه على الذرية: يعقوب على يوسف حزناً. قال: يا أسفي على يوسف، فإنه قَدَّ جيبه فشقه». (الهداية الكبرى/٢٤٨)

وعن أبي الحسن علي بن بلال وجماعة من إخواننا: أنه لما كان في اليوم الرابع من زيارة سيّدنا أبي الحسن عليه السلام أمر المعتز بأن ينفذ إلى أبي محمد من يستركبه إلى المعتز ليعزيه ويسليه، فركب أبو محمّد إلى المعتز، فلمّا دخل عليه رحب به وعزاه وأمر فرتب بمرتبة أبيه عليه السلام وأثبت له رزقه وزاد فيه، فكان الذي يراه لا يشكّ إلا أنه في صورة أبيه عليه السلام، واجتمعت الشيعة كلها من المهتدين على أبي محمد بعد أبيه، إلا أصحاب فارس بن ماهَوَيْه، فإنهم قالوا بإمامة جعفر بن علي العسكري. (الهداية الكبرى:٣٨٣)

وجاء عن المسعودي: (واعتل أبو الحسن علّته التي مضى فيها صلّى الله عليه في سنة أربع وخمسين ومائتين، فأحضر أبا محمد ابنه عليه السلام فسلّم إليه النور والحكمة ومواريث الأنبياء عليهم السلام والسلاح، وأوصى إليه، ومضى صلّى الله عليه، وَسِنُّه أربعون سنة. وكان مولده في رجب سنة أربع عشرة ومائتين من الهجرة، فأقام مع أبيه عليه السلام نحو سبع سنين، وأقام منفرداً بالإمامة ثلاثاً وثلاثين سنة وشهوراً. (إثبات الوصية:١/٢٤٠)

وحدّثنا جماعة كلّ واحد منهم يحكي أنّه دخل الدار، وقد اجتمع فيها جملة بني هاشم من الطالبيين والعباسيين، واجتمع خلق من الشيعة، ولم يكن ظهر عندهم أمر أبي محمّد عليه السلام ولا عرف خبره إلاّ الثقات الذين نص أبو الحسن عندهم عليه، فحكوا أنّهم كانوا في مصيبة وحيرة، فهم في ذلك إذْ خرج من الدار الداخلة خادمٌ فصاح بخادم آخر: «يا رَيَّاشُ خذ هذه الرقعة وامض بها إلى دار فلان وأعطها إلى فلان وقل له: هذه رقعة الحسن بن علي». فاستشرف الناس لذلك، ثم فتح من صدر الرواق بابٌ وخرج خادمٌ أسود، ثم خرج بعده أبو محمد عليه السلام حاسراً مكشوف الرأس، مشقوق الثياب، وعليه مبطنة بيضاء، وكان وجهه وجه أبيه عليه السلام لا يخطئ منه شيئاً، وكان في الدار أولاد المتوكل وبعضهم ولاة العهود، فلم يبق أحد إلاّ قام على رجله، ووثب إليه أبو محمّد الموفق فقصده أبو محمّد عليه السلام فعانقه ثم قال له: مرحباً بابن العم. وجلس بين بابي الرواق، والناس كلهم بين يديه.

وكانت الدار كالسوق بالأحاديث، فلمّا خرج وجلس أمسك الناس، فما كنا نسمع شيئاً إلا العطسة والسعلة، وخرجت جارية تندب أبا الحسن عليه السلام فقال أبو محمد: «ما هاهنا من يكفي مؤونة هذه الجاهلة؟»، فبادر الشيعة إليها، فدخلت الدار، ثم خرج خادم فوقف بحذاء أبي محمد عليه السلام فنهض صلّى الله عليه وأخرجت الجنازة، وخرج يمشي حتى أخرج بها إلى الشارع الذي بإزاء دار موسى بن بقا، وقد كان أبو محمّد صلّى عليه قبل أن يخرج إلى الناس، وصلّى عليه لما أخرج المعتمد، ثم دفن في دار من دوره.

واشتدّ الحرّ على أبي محمد عليه السلام وضغطه الناس في طريقه ومنصرفه من الشارع بعد الصلاة عليه، فصار في طريقه إلى دكان بقال رآه مرشوشاً (مصطبة) فسلم واستأذنه في الجلوس فأذن له وجلس، ووقف الناس حوله. فبينا نحن كذلك إذ أتاه شابٌّ حسن الوجه نظيف الكسوة، على بغلة شهباء على سرج ببرذون أبيض، قد نزل عنه فسأله أن يركبه، فركب حتّى أتى الدار ونزل.

وخرج في تلك العشية إلى الناس، ما كان يَخْرِمُ عن أبي الحسن عليه السلام حتّى لم يفقدوا منه إلا الشخص. وتكلمت الشيعة في شق ثيابه وقال بعضهم: هل رأيتم أحداً من الأئمة شقّ ثوبه في مثل هذه الحال؟ فوقَّعَ إلى من قال ذلك: يا أحمق ما يدريك ما هذا، قد شقّ موسى على هرون. وقام أبو محمّد الحسن بن علي مقام أبيه عليه السلام). (إثبات الوصية:١/٢٤٢)

إنّ الروايات الواردة حول استشهاد الإمام الهادي عليه السلام قد تدلّ على عظم الفاجعة وألم المصاب الذي قد حل بالشيعة عامة وبني هاشم خاصة، وقد ورد حالة الإمام العسكري عليه السلام في حين تشييع الجثمان الطاهر لأبيه عليه السلام، وهيئته المباركة التي أظهر شدّة الحزن والأسى عليه في مراسم الصلاة والتشييع والدفن.

وقد تبيّن كذب جعفر الكذّاب الذي ادعى الإمامة بعد أبي الحسن الثالث عليه السلام، في هذه الحادثة، حيث رأى الناس حال الإمام العسكري عليه السلام بعد استشهاد أبيه من شدّة الحزن والأسى، وبينما خرج عليه جعفر ابن الإمام الهادي عليه السلام مطالباً بقيادة الأمّة ومدّعياً للإمامة.

لكن موضوع جعفر بعد خروج التوقيع المبارك للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في حقه ينصّ بأنّه تاب بعدما فعل ببيت الإمام العسكري عليه السلام، فقد ورد عن الإمام المهدي عليه السلام قوله: "لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ بَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ وَ مَنْ أَنْكَرَنِي فَلَيْسَ مِنِّي وَ سَبِيلُهُ سَبِيلُ ابْنِ نُوحٍ ع أَمَّا سَبِيلُ عَمِّي جَعْفَرٍ وَ وُلْدِهِ فَسَبِيلُ إِخْوَةِ يُوسُفَ

لوحة العبادات في مرسم العقيدة

× عندما ترسم العقيدة لوحة العبادة فإنّ الناتج سيكون ما يلي:

× قصة تبين الفكرة: عندما تكون في وسط النور وفي نفس الوقت لا ترى شيئاً، وعندما تكون في وسط محيطات من المياه الطيبة والنقية وفي نفس الوقت لازلت تشعر بالعطش فأنت بلا شك تسكن قرية إبليس حيث كل شيء عبارة عن لا شيء ولا يسمع فيها سوى صوت الأنا الذي يغذي كل شيء وتطرب له آذان كل شيء فأصبحت الإله بعدد الأهواء الموجودة في تلك القرية الإبليسية.

وحتى لا يذهب بنا الوصف كثيراً في القرية وأهلها فإنّي سأتوجه مباشرة إلى منزل المعلم السماوي الأكبر الواقع بمحاذاة حدود هذه القرية.

فقد وجدته هناك وقد كان وحاله كحال الزائر بين يدي مضيفه أو بمعنى آخر كان كحال الزائر الذي اجتمعت فيه كل صفات الأدب والذوق!

فقلت له: أهذه صلاة أم زيارة أيها الحبيب؟ فإنّ حالك وأنت تصلي لهو أقرب إلى حال الزائر!

فقال لي: ألا تعرف أن الصلاة وكل العبادات في جوهرها ما هي إلاّ مراسيم متنوعة لزيارات المعصوم وكل عبادة لها روحية معينة في الزيارة ولعل الصلاة من أجمل الزيارات الواجبة للمعصوم لأن فيها وجوب الخضوع والتذلل والتضرع بين يدي المعصوم بشكل أعمق من باقي العبادات!

فقلت له: هوّن عليك قليلاً وحاول أن تفسر لي أكثر!

ماذا تقصد بأنّ العبادات مظهر من مظاهر الزيارة الواجبة الاضطرارية للمعصوم؟

فقال لي: أيها العزيز أنت عندما تتعبد أو عندما تقرأ الأدعية والزيارات وحديث

المعصوم هل تفعل ذلك بعقلك وقلبك أم أنّك تفعلها هكذا من دون تأمل وتفكر!

فقلت له: ماذا تقصد؟

فقال: أيها الغالي دعنا نقوم بجولة في النصوص وبما أنّك سألت عن الصلاة بالذات فسوف تكون هي المحور الذي يتمحور عليه كلامي وهي المصداق الذي سوف انطلق منه في تطبيق النصوص وكما يأتي:

× انظر معي في دعاء الندبة: «أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء»!

وفي نفس الدعاء: «أين وجه الله الذي منه يؤتى»!

ثم تأمل في الزيارة الجامعة الكبيرة: «ومن قصده توجه إليكم» بل إنّك في القرآن الكريم حين تقرأ ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾!

والآن أخبرني ماذا فهمت؟

فقلت له: منك أتعلم ففهمني!!!

فقال لي: إنّها وباختصار تعني أنّك في كل أحوالك وفي حال العبادة خصوصاً فإنّ توجهك يكون لوجه الله فأنت ستكون في ضيافة وجه الله وعندما تكون في ضيافة أحد فأنت إذن في حالة زيارة له.

فبعبارة أخرى مبسطة تختصر الكلام المختصر أعلاه فإنّ من يريد الله لابد من أن يبدأ بهم (كما في الجامعة الكبيرة وغيرها) ومعنى أن تبدأ بهم هو أن تتوجه إليهم (كما في دعاء الندبة وغيره) والتوجه إليهم في أحد أوضح معانيه وأبعاده هو زيارتهم وهذا هو المراد ببساطة!

أمّا الحديث عن الصلاة خاصة فإنّ هذا المعنى واضح جدا فيها فأنت حين تنوي الصلاة إلا تقول نويت أن أصلي كذا وكذا قربة لوجه الله تعالى! ووجه الله هم أهل البيت عليهم السلام والأمر واضح.

والأوضح من ذلك هو انك حين تقرأ مقدمات الصلاة (الأذان والإقامة) اللذان يمثلان روح الصلاة وعنوانها!

فأنت بشكل واضح تقول لله وللخلق جميعا بأنك الآن تنوي التوجه لزيارة محمد وآل محمد!

فإنّك حين تقول (حي على خير العمل) فأنت تقول للناس تعالوا لنفعل خير العمل وخير العمل كما في حديثهم هو بر فاطمة وآل فاطمة!

فأنت بعبارة أخرى تعطي للصلاة عنواناً أهم فتقول للناس حي على بر فاطمة وآل فاطمة، وأحد أوضح معاني البر هو الزيارة والوصال!

والبر حقيقة مفهوم له أبعاد كثيرة وهي أعمق من الزيارة بكثير ولكن الحديث هنا هو بهذا المستوى من البر!

أمّا الأوضح من كل ما تقدم هو أننا لو بحثنا الأمر من جهة أن الصلاة ليست سوى مظهر من مظاهر المعصوم كما صرحت بذلك أحاديثهم التي أشارت بشكل صريح بأنّهم هم الصلاة...الخ.

فعند ذلك سيكون الموضوع أبسط ولا يحتاج إلى كل تلك المقدمات فإنّ المعصوم هو الصلاة فإذا صليت فأنت تزور المعصوم بكل بساطة!

وحين تنتهي من صلاتك فستودع المعصوم وتسلم عليه بذلك السلام المعتاد في نهاية كل صلاة.

وأخيراً فإنّي أحب أن أبيّن أجمل ما في هذه التكاليف الشرعية الواجبة والمستحبة! وما الصلاة إلا مصداق ومثال لها!

فإنّك حين تفعلها فأنت ستكون في حالة زيارة إجبارية لإمامك تختلف عن كل الزيارات المعتادة؟!

لأنّها ستكون زيارة لذاته المجردة والمنزهة عن الجسمية وعن كل نقص!

فهي ستكون زيارة بين العبد وربه حيث يبدي العبد فيها التذلل والعبودية والرق والانكسار وبين يدي إمام زمانه وليس له من هذه الزيارة إلا ما أقبل عليه بهذه النية وبهذه الحالة.

وهنيئاً لمن تقبل منه هذه الزيارة!

سلام عليك سيدي بقية الله فإنّي والله ما صليت ولا قمت بأي عمل إلا بنية زيارتك فتقبل مني زيارتي.

بقلم: حيدر الوائلي

توجيه الغرائز بواسطة العقل

الغريزة في اللغة هي: الطبيعة والقريحة والسجيّة، وقال اللحياني: هي الأصل والطبيعة.(تاج العروس:١٥/٢٥٥)

وفي الاصطلاح هي: استعداد فطري نفسي جسمي يدفع الفرد إلى أن يدرك وينتبه إلى أشياء من نوع معيّن، وأن يشعر بانفعال خاص عند إدراكها، وأن يسلك نحوها مسلكاً خاصاً. (منهج التربية أساسياته ومكوّناته:٥٩)

والغريزة كما هو المستفاد من معناها أمر مغروز في داخل الذات يتفاعل مع المحيط الخارجي لينطلق نحو الاستجابة والإشباع، وهي قوة لا نلاحظها مباشرة بل نستنتجها من الاتجاه العام للسلوك الصادر منها في الواقع.

ومن هنا فللغريزة مظاهر ثلاثة:

١. مثير خارجي.

٢. سلوك عملي.

٣. هدف يراد تحقيقه.

وبعبارة اُخرى: إنّ الغريزة تتفاعل مع الشعور بمظاهره الثلاثة: الإدراك والانفعال والرغبة للتحقيق.

فهي تتفاعل مع المثير الخارجي وتنفعل مع مظاهره المتنوعة، وتنطلق لتحقيق هدفها وهو الإشباع والارتواء، وهذا التفاعل والانطلاق هو أمر فطري لا يختلف ولا يتخلف من فرد لآخر، وأمّا السلوك الصادر عن الغريزة، فهو أمر تتحكم به إرادة الإنسان وما يحمله من متبنيات فكرية وعاطفية وخلقية؛ من حيث نظرته للكون وللحياة والمجتمع، فيكون منسجماً معها مطابقاً للأسس والقواعد التي تبناها في رسم منهجه في الحياة، ولهذا يختلف سلوك الإنسان وممارساته العملية اندفاعاً وانكماشاً من إنسان لآخر تبعاً لدرجات إيمانه واعتقاده بمتبنياته.

وتتنوع الغرائز بتنوع تركيبة الإنسان وكينونته، فهو جسد وروح ولكلّ منهما وظائفه الخاصة المترتبة على الحاجات الأساسية العضوية والوجدانية في آن واحد.

والتقسيم الثنائي للغرائز يرجعها إلى العقل والشهوة، وهما الأساس الذي تتفرع وتتنوع منهما سائر الغرائز والدوافع والحاجات.

قال أمير المؤمنين عليه‌السلام: «إِنَّ اللّٰهَ عَزَّ جَلَّ رَكَّبَ فِي الْمَلَائِكَةِ عَقْلًا بِلَا شَهْوَةٍ وَرَكَّبَ فِي الْبَهَائِمِ شَهْوَةً بِلَا عَقْلٍ وَرَكَّبَ فِي بَنِي آدَمَ كِلَيْهِمَا فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ شَهْوَتَهُ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلَهُ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْبَهَائِمِ».(علل الشرائع:١/٤)

ومصطلح الشهوة يطلق على القوة التي تشتهي، وعلى الأمر المشتهى.(مفردات ألفاظ القرآن:٢٧٠)

فمن العقل تتفرع غريزة التديّن وغريزة التكامل أو حب الكمال، وغريزة الأمن والاستقرار، ومن الشهوة تتفرع غريزة الجوع والغريزة الجنسية وبقية الغرائز ذات الطابع الجسماني.

عن الإمام جعفر الصادق عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ أَوَّلَ مَا عُصِيَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ سِتٌّ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَحُبُّ الرِّئَاسَةِ، وَحُبُّ الطَّعَامِ، وَحُبُّ النَّوْمِ، وَحُبُّ الرَّاحَةِ، وَحُبُّ النِّسَاءِ».(الكافي الشريف:٢/٢٩٠)

وقد أيّد العلم الحديث ما قاله الإمام علي عليه‌السلام في نظرته للإنسان حيث إنّ المفهوم السائد في هذا العصر (إنّ الإنسان لا هو حيوان ولا هو من السماء، ولكنّه بين الاثنين، وتطوره يعتمد على تمييزه المضبوط لطبيعة إمكاناته المحدودة).(الشخصية بين النجاح والفشل)

فالإنسان في رأي أمير المؤمنين تتجاذبه قوتان: الشهوة والعقل، وهذه القوى تبكّر لديه في الظهور واليقظة، وتسرع عنده في النمو والتأثير، وهي المؤثرة في بنائه الخلقي والنفسي، فإذا نمت قوة الشهوة وتغلبت على قوة العقل فإنّ

الإنسان سيكون مستسلماً لهواه وملذّاته وسيشبعها دون قيود أو شروط في أجواء المثيرات والمغريات الخارجية إلى أن يصبح كالحيوان همّه بطنه وفرجه، أو يقف الواقع حائلاً دون إشباعها؛ فيؤدي ذلك إلى اختلال التوازن النفسي والانفعالي في كيانه فيصاب بالاضطراب النفسي والروحي، وإذا غلبت قوة العقل قوة الشهوة، فإنّ الإنسان سيشبعها في وجهها الإيجابي، فهو لا يوقف الشهوة ولا يعطلها بل يوجهها وجهة عقلانية ويقيدها بقيود الشريعة أو يؤجل إشباعها إلى ظرفها المناسب المشروع.

ودور العقل هو تعديل الشهوة وتهذيبها واستبدال مثيراتها الطبيعية بمثيرات أُخرى تتجه بها إلى السمو والكمال، وتدع بها سلوكها الفطري إلى سلوك فيه النضج والقوة للفرد والصلاح للمجتمع.

والعقل يقدّم التسامي على اللّذات الفانية، ويوجه الإنسان إلى طاعة ربّه ويقدمها على غيرها.

ويصف الإمام محمد الباقر عليه‌السلام أهل التقوى قائلاً: «أخّروا شهواتهم ولذّاتهم خلفهم، وقدّموا طاعة ربّهم أمامهم». (تحف العقول:٢٨٧)

فالإمام لم يقل: ألغوا شهواتهم ولذاتهم أو عطّلوها بل قال: أخّروا، لأنّ منهج أهل البيت عليهم‌السلام هو منهج التوازن، ولهذا نجد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يعاتب عاصم بن زياد حينما لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا فيقول له: «يَا عُدَيَّ نَفْسه لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ أَتَرَى اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِك». (نهج البلاغة:٣٢٤)

ومنهج أهل البيت عليهم السلام يدعو إلى أن يكون العقل حاكماً على الشهوات، لأنّ الانسياق وراء الشهوات يؤدي إلى وقوع الإنسان في مهاوي الرذيلة، ومن آثارها ما ورد في أقوال أمير المؤمنين عليه السلام:

١. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «قَرِينُ الشَّهْوَةِ مَرِيضُ النَّفْسِ مَعْلُولُ الْعَقْلِ». (عيون الحكم:٣٧٣)

٢. وقال عليه السلام أيضاً: «غَلَبَةُ الشَّهْوَةِ تُبْطِلُ الْعِصْمَةَ وَتُورِدُ الْهُلْكَ». (عيون الحكم:٣٤٩)

٣. وورد عنه عليه السلام أيضاً: «مَنْ زَادَتْ شَهْوَتُهُ قَلَّتْ مُرُوَّتُهُ». (غرر الحكم:٥٩٢)

٤. وقال عليه السلام: «إِنَّكُمْ إِنْ مَلَّكْتُمْ شَهَوَاتِكُمْ نَزَتْ بِكُمْ إِلَى الأَشَرِ وَالْغَوَايَةِ». (غرر الحكم:٢٧٠)

إذن: إنّ غلبة العقل على الشهوة بمعنى تحكمه فيها، يجعل الإنسان في قمة السمو والتكامل، وإنّ غلبة الشهوة على العقل تجعل الإنسان في المستنقع الآسن وفي ركب الطالحين.

قال الإمام جعفر الصادق عليه‌السلام: «لاَ تَدَعِ النَّفْسَ وَهَوَاهَا فَإِنَّ هَوَاهَا فِي رَدَاهَا وَتَرْكُ النَّفْسِ وَمَا تَهْوَى أَذَاهَا وَكَفُّ النَّفْسِ عَمَّا تَهْوَى دَوَاهَا». (الكافي الشريف:٢/٣٣٦)

بقلم: السيد شهاب الدين الحسيني

العيون تذرف الدموع على ابن الكاظم عليهما السلام

ألا ما لعيني بالدموع استهلت
ولو فَقَدَت ماء الشؤون لقَرّتِ(١)

على من بكته الأرض واسترجعت لهُ
رؤوس الجبال الشامخاتِ وذلّتِ(٢)

وقد أعوَلت تبكي السماء لفقده
وأنجُمها ناحت عليه وكلّتِ(٣)

رُزينا رَضيّ الله سبط نبينا
فأخلفت الدنيا له وتولتِ(٤)

فنحنُ عليه اليوم أجدر بالبُكا
لمرزئةٍ عزت علينا و جلتِ(٥)

وما خير دُنيا بعد آل مُحمدٍ
ألا لا نُباليها إذا ما اضمَحَلّتِ

تجلت مُصيباتُ الزمانِ ولا أرَى
مُصيبتنا بالمصطَفينَ تجلّتِ

الشاعر أبو كوثر العراقي

---

(١) عروق الدموع. قرت: اطمأنت.

(٢) استرجعت: قالت: (إنا لله وإنا إليه راجعون).

(٣) كلّت: تعبت.

(٤) السبط: ولد الولد. أخلفت: تغيرت.

(٥) المرزئة: المصيبة. جلّت: عظمت.

الدين في مواجهة الشرك

يعتقد الثنويون بوجود خالقين للعالم أحدهما خالق الخير والآخر خالق الشرّ.

الأوّل هو الله عزّ وجل والثاني هو (أهرمن) قالوا في وجه ذلك أنّه كما أنّ آثار الخلق تدلّنا على الخالق، كذلك وجود الخير والشرّ في العالم يدلّنا على وجود مبدئين وخالقين إذ الضدّان - وهما الخير والشرّ - لا يأتيان من سبب وعلّة واحدة.

والحكيم لا يجوّز صدور أمرين متماثلين على سبيل التكافؤ عن الواحد فكيف يجوّز صدور الضدّين عنه؟ فيكون خالق الشرّ موجوداً شريراً وهو (الأهرمن) فنحن نؤمن بإله الخير ونعبده لكي يدرّ علينا بخيره وفضله ورحمته.

ونعبد إله الشرّ تقيّة منه ليُمسك عنّا شرّه وضرّه، هذا غاية ما يقال في توضيح عقيدة الثنوية.

الجواب:

إنّ الشرّ أمرٌ عدميٌ لا يحتاج إلى العلّة الفاعليّة لكي يلزم تعدد الخالق كما أشار إليه العلامة الحلّي في شرحه على التجريد إذ قال: (وإذا تأمّلنا في كل ما يقال له شرّ وجدناه عدماً ألا ترى القتل فإنّ العقلاء حكموا بكونه شرّاً. وإذا تأمّلناه وجدنا شرّيته باعتبار ما يتضمن من العدم فإنّه ليس شرّاً من حيث قدرة القادر عليه، فإنّ القدرة كمال الإنسان، ولا من حيث إنّ الآلة قطّاعة، فإنّه أيضاً كمال لها، ولا من حيث حركة أعضاء القاتل، ولا من حيث قبول العضو المنقطع للتقطيع، بل من حيث هو إزالة كمال الحياة عن أشخص فليس الشرّ إلاّ هذا العدم). (كشف المراد:٢٠)

فالحاصل إنّ الله هو خالق الوجود وهو خير محض.

والشرّ أمرٌ عدميّ لا يحتاج إلى علّة الإيجاد كي يلزم تعدد مبدئين. وهناك جواب آخر مستفاد من حوار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مع الثنوية، يقول اثنوية: النور والظلمة هما المدبّران.

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «ما الذي دعاكم إلى ما قلتموه من هذا؟»، قالوا: لأنّنا قد وجدنا العالم صنفين: خيراً وشرّاً، ووجدنا الخير ضدّ الشرّ فأنكرنا أن يكون فاعل واحد يفعل الشيء وضدّه، بل لكل واحد منهما فاعل، ألا ترى أنّ الثلج محال أن يسخّن، كما أنّ النار محال أن تبرّد؟ فأثبتنا لذلك صانعين قديمين ظلمة ونور.

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «أفلستم قد وجدتم سواداً وبياضاً وحمرة وصفرة وخضرة وزرقة وكل واحد ضدّ للآخر، لاستحالة اجتماع اثنين منها في محل واحد، كما كان الحرّ والبرد ضدّين لاستحالة اجتماعهما في محل واحد»، قال الثنوية: نعم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فمهلاً أثبتم بعدد كل لون صانعاً قديماً ليكون فاعل كلّ ضدّ من هذه الألوان غير فاعل الضدّ الآخر»، فسكت الثنوية ولم يستطيعوا الجواب إذ لازم كلامهم هو تعدد المبدأ بمقدار تعدد الألوان وعدم الحصر في المبدئين.

الشيخ علي الباميانی

حادثة الطوفان حقيقة أم خيال؟

سؤال: هل طوفان نبي الله نوح كانت عامة لجميع الأرض؟

الجواب: إنّ عموم دعوة نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام يقضي بعموم العذاب، وهو نعم القرينة على أن المراد بسائر الآيات الدالة بظاهرها على العموم ذلك كقوله تعالى: ﴿ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً ﴾. [نوح:٢٦]

وقوله تعالى: ﴿ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ ﴾. [هود:٤٣]

وقوله عزّ وجل: ﴿ وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ ﴾. [الصافات:٧٧]

ومن الشواهد في كلامه تعالى على عموم الطوفان ما ذكر في موضعين: أنه أمر نوحاً أن يحمل من كلٍّ زوجين اثنين، فمن الواضح أنه لو كان الطوفان خاصاً بصقع من أصقاع الأرض وناحية من نواحيها كالعراق – كما قيل – لم يكن أي حاجة إلى أن يحمل في السفينة من كل جنس من أجناس الحيوان زوجين اثنين وهو ظاهر.

واختار بعضهم كون الطوفان خاصاً بأرض قوم نوح عليه السلام قال صاحب المنار في تفسيره: (أما قوله في نوح على نبينا وآله وعليه السلام بعد ذكر تنجيته وأهله: ﴿ وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ ﴾ فالحصر فيهم يجوز أن يكون إضافياً أي الباقين دون غيرهم من قومه، وأما قوله: ﴿ وَقالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً ﴾ فليس نصاً في أن المراد بالأرض هذه الكرة كلها فإنّ المعروف من كلام الأنبياء والأقوام وفي أخبارهم أن تذكر الأرض ويراد بها أرضهم ووطنهم كقوله تعالى حكاية عن خطاب فرعون لموسى وهارون: ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِي الأَرْضِ ﴾ يعني أرض مصر، وقوله: ﴿ وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها ﴾ فالمراد بها مكة، وقوله: ﴿ وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ والمراد بها الأرض التي كانت وطنهم، والشواهد عليه كثيرة.

ولكن ظواهر الآيات تدل بمعونة القرائن والتقاليد الموروثة عن أهل الكتاب على أنّه لم يكن في الأرض كلها في زمن نوح إلا قومه وأنّهم هلكوا كلهم بالطوفان ولم يبق بعده فيها غير ذريته، وهذا يقتضي أن يكون الطوفان في البقعة التي كانوا فيها من الأرض سهلها وجبلها لا في الأرض كلها إلا إذا كانت اليابسة منها في ذلك الزمن صغيرة لقرب العهد بالتكوين وبوجود البشر عليها فإنّ علماء التكوين وطبقات الأرض – الجيولوجية – يقولون إنّ الأرض كانت عند انفصالها من الشمس كرة نارية ملتهبة ثم صارت كرة مائية ثم ظهرت فيها اليابسة بالتدريج.

ثم أشار إلى ما استدل به بعض أهل النظر على عموم الطوفان لجميع الأرض من أنا نجد بعض الأصداف والأسماك المتحجرة في أعالي الجبال وهذه الأشياء مما لا تتكون إلا في البحر فظهورها في رؤوس الجبال دليل على أنّ الماء قد صعد إليها مرة من المرات، ولن يكون ذلك حتى يكون قد عم الأرض هذا.

ورد عليه بـأنّ وجود الأصـداف والحيوانات البحرية في قلل الجبال لا يدل على أنّه من أثر ذلك الطوفان بل الأقرب أنّه من أثر تكون الجبال وغيرها من اليابسة في الماء كما قلنا آنفاً فإنّ صعود الماء إلى الجبال أياماً معدودة لا يكفي لحدوث ما ذكر فيها.

ثم قال ما ملخصه: إنّ هذه المسائل التاريخية ليست من مقاصد القرآن ولذلك لم يبينها بنصّ قطعي فنحن نقول بما تقدّم أنّه ظاهر النصوص ولا نتخذه عقيدة دينيّة قطعيّة فإن أثبت علم الجيولوجية خلافه لا يضرنا لأنّه لا ينقض نصّاً قطعيّاً عندنا). (تفسير المنار:١٢/٢٥)

أقول: أمّا ما ذكره من تأويل الآيات فهو من تقييد الكلام من غير دليل، وأمّـا قوله في ردّ قولهم بوجود الأصـداف والأسـمـاك في قلل الجبـال: إنّ صعود المـاء إليها في أيّام معدودة لا يكفي في حدوثها! ففيه أنّ من الجائز أن تحملها أمواج الطوفان العظيمة إليها ثم تبقى عليها بعد النشف فإنّ ذلك من طوفان يغمر الجبال الشامخة في أيّام معدودة غير عزيز.

وبعد ذلك كلّه قد فاته ما ينصّ عليه الآيات أنّه عليه السلام أمر أن يحمل من كل جنس من أجناس الحيوان زوجين اثنين فإنّ ذلك كالنصّ في أنّ الطوفان عم البقاع اليابسة من الأرض جميعاً أو معظمها الذي هو بمنزلة الجميع.

فالحقّ أنّ ظاهر القرآن الكريم - ظهوراً لا ينكر - أنّ الطوفان كان عاماً للأرض، وأنّ من كان عليها من البشر أغرقوا جميعاً ولم يقم لهذا الحين حجّة قطعيّة تصرفها عن هذا الظهور.

وقد كنت سألت صديقي الفاضل الدكتور سحابي المحترم أستاذ الجيولوجيا بكليّة طهران أن يفيدني بما يرشد إليه الأبحاث الجيولوجية في أمر هذا الطوفان العام إن كان فيها ما يؤيد ذلك على وجه كلّي فأجابني بإيفاد ما يلي:

أولاً: الأراضي الرسوبية

تطلق الأراضي الرسوبية في الجيولوجيا على الطبقات الأرضية التي كونتها رسوبات المياه الجارية على سطح الأرض كالبطائح والمسيلات التي غطتها الرمال ودقاق الحصى.

وقد نعرف الأراضي الرسوبية بما تراكم فيها من الرمال ودقاق الحصى الكرويّة المدورة فإنّها كانت في الأصل قطعات من الحـجـارة حـادة الأطـراف والـزوايـا حولتها إلى هذه الحالة الاصطكاكات الواقعة بينها في المياه الجارية والسيول العظيمة ثم إنّ الماء حملها وبسطها على الأرض في غايات قريبة أو بعيدة بالرسوب.

وليست تنحصر الأراضي الرسوبية في البطائح فغالب الأراضي الترابية من هذا القبيل تخالطها أو تكونها رمال بالغة في الدقة، وقد حملها لدقتها وخفتها إليها جريان المياه والسيول.

نجد الأراضي الرسوبية وقد غطتها طبقات مختلفة من الرمل والـتراب بعضها فوق بعض من غير ترتيب ونظم، وذلك - أولاً - أمارة أن تلك الطبقات لم تتكون في زمان واحد بعينه وثانياً - أنّ مسير المياه والسيول أو شدة جريانها قد تغير بحسب اختلاف الأزمنة.

ويتّضح بذلك أنّ الأراضـي الرسوبية كانت مجاري ومسائل في الأزمنة السابقة لمياه وسيول مهمة وإن كانت اليوم في معزل من ذلك.

وهـذه الأراضـي التي تحكي عن جريان مياه كثيرة جدّاً وسيلان سيول هائلة عظيمة توجد في أغلب مناطق الأرض منها أغلب نقاط إيران كأراضي طهران وقزوين وسمنان وسبزوار ويزد وتبريز وكرمان وشيراز وغيرها، ومنها مركز بين النهرين وجنوبه، ومـا وراء النهر، وصحراء الشام، والهند، وجنوب فرنسا، وشرقي الصين، ومصر، وأكثر قطعات أمريكا، وتبلغ ضخامة الطبقة الرسوبيّة في بعض الأماكن إلى مئات الأمتار كما أنّها في أرض طهران تجاوز أربعمائة متر.

وينتج ممّا مرّ:

١. إنّ سطح الأرض في عهد ليس بذاك البعيد كان مجرى سيول هائلة عظيمة ربما غطت معظم بقاعها.

٢. إنّ الطغيان والطوفان - بالنظر إلى ضخامة القشر الرسوبي في بعض الأماكن - لم يحدث مرة واحدة ولا في سنة أو سنين معدودة بل دام أو تكرر في مئات من السنين كلما حدث مرة كوّن طبقة رسوبيّة ثم إذا انقطع غطتها طبقة ترابية ثم إذا عاد كوّن أخرى وهكذا وكذلك اختلاف

الطبقات الرسوبيّة في دقّة رمالها وعدمها يدلّ على اختلاف السيلان بالشدة والضعف.

ثانياً: حدوث القشور والطبقات الجيولوجية

الطبقات الرسوبيّة أحدث القشور والطبقات الجيولوجية وقد ترسب الطبقات الرسوبيّة عادة رسوباً أفقياً ولكن ربما وقعت أجزاؤها المتراكمة تحت ضغطات جانبيّة قويّة شديدة على ما بها من الدفع من فوق ومن تحت فتخرج بذلك تدريجاً عن الأفقيّة إلى التدوير والالتواء، وهذا غير ظاهر الأثر في الأزمنة القصيرة المحدودة لكن إذا تمادى الزمان بطوله كمرور الملايين من السنين ظهر الأثر وتكونت بذلك الجبال بسلاسلها الملتوية بعض تلالها في بعض وترتفع بقللها من سطوح البحار.

ويستنتج من ذلك أنّ الطبقات الرسوبيّة والقشور الأفقيّة الباقية على حالها من أحدث الطبقات المتكونة على البسيط، والدلائل الفنيّة الموجودة تدلّ على أن عمرها لا يجاوز عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف سنة من زماننا هذا.

ويستثنى من ذلك بعض ما في أطراف بالتيك وسائر المناطق الشماليّة من طبقات رسوبيّة أفقيّة باقية على حالها من أقدم العهود الجيولوجية لجهات مذكورة في محلها.

ثالثاً: انبساط البحار واتساعها بانحدار المياه إليها

وذلك كأن تكون القشور الرسوبيّة الجديدة عاملاً في انبساط أكثر بحار الكرة واتّساعها بأطرافها فارتفعت مياهها وغطت أكثر سواحلها وعملت جزائر في السواحل أحاطت بها من معظم جوانبها.

فمن ذلك جزيرة بريطانيّة انقطعت في هذا الحين من فرنسا وانفصلت من أوربا بالكليّة، وكانت أوربا من ناحية جنوبها وأفريقيا من ناحية شمالها مرتبطتين برابط بري إلى هذا الحين فانفصلتا باتّساع البحر المتوسط – مديترانة – وتكون بذلك شبه جزيرة إيطاليا وشبه جزيرة تونس من شمالها الشرقي وجزائر صقلية وسردينيا وغيرها وكانت جزائر أندونيسيا من ناحية جاوا وسوماترا إلى جنوبي جزيرة اليابان متّصلة بآسيا من جهة الجنوب الشرقي إلى هذا الحين فانفصلت وتحوّلت إلى صورتها الفعليّة، وكذا انقطاع أمريكا الشمالية من جهة شمالها عن شمال أوروبا أحد الآثار الباقية من عهد الطوفان.

وللحركات والتحولات الأرضيّة الداخليّة آثار في سير هذه المياه واستقرارها في البقاع الخافضة المنحدرة ولذلك كان ينكشف الماء عن بعض البقاع الساحليّة المغمورة بماء البحار في حين كان الطوفان مستولياً على أكثر البسيط يكون بحيرات ويوسع بحاراً، ومن هذا الباب سواحل خوزستان الجنوبية انكشف عنها ماء الخليج.

وقد كانت مدينة شوش وقصر الكرخة في زمن الملوك الهخامنشيّة في إيران على ساحل البحر وكانت السفن الشراعية الجارية في خليج فارس تلقى مراسيها أمام القصر.

رابعاً: العوامل المؤثرة في ازدياد المياه وغزارة عملها في عهد الطوفان

وفي ذلك شواهد جيولوجية التي أشرنا إلى بعضها قد تؤيّد أنّ النزولات الجويّة كانت غير عاديّة في أوائل الدور الحاضر من أدوار الحياة الإنسانيّة وهو عهد الطوفان، وقد نتج ذلك عن تغيّرات جويّة مهمة خارقة للعادة قطعاً.

فكان الهواء حاراً في هذه الدورة نسبة لكن كان ذلك مسبوقاً ببرد شديد وقد غطى معظم النصف الشمالي من

الكرة الثلج والجمد والجليد فمن المحتمل قويا أن المتراكم من جمد الدورة السابقة عليه كان باقياً لم يذب بعد في النجود في أكثر بقاع المنطقة المعتدلة الشمالية.

فعمل الحرارة في سطح الأرض في دورتين متواليتين على ما به من متراكم الجمد والجليد يوجب تغيّراً شديداً في الجو وانقلاباً عظيماً مؤثراً في ارتفاع بخار الماء إليه وتراكمه فيه تراكماً هائلاً غير عادي وتعقبه نزولات شديدة وأمطار غزيرة غير معهودة.

نزول هذه الأمطار الغزيرة الهاطلة ثم استدامتها بالنزول على الارتفاعات والنجود وخاصة على سلاسل الجبال الجديدة الحدوث في جنوب آسيا ومغربها وجنوب أوروبا وشمال أفريقيا كجبال ألبرز وهيماليا وآلب وفي مغرب أمريكا عقب جريان سيول عظيمة هائلة عليها تنحت الصخور وتحفر الأرض وتقلع أحجاراً وتحملها إلى الأراضي والبقاع المنحدرة وتحدث أودية جديدة وتعمق أخرى قديمة وتوسعها ثم تبسط ما تحمله من الحجارة والحصى والرمل تجاهها قشوراً رسوبيّة جديدة.

وممّا كان يمدّ الطوفان السماوي في شدّة عمله ويزيد حجم السيول الجارية أن حفر الأودية الجديدة كان يكشف عن ذخائر مائية في بطن الأرض هي منابع الآبار والعيون الجارية فيزيل القشور الحافظة لها المانعة من سيلانها فيفجر العيون ويجريها مع السيول المطريّة ، ويزيد في قوّة تخريبها ويعينها في إغراق ما على الأرض من سهل وجبل وغمره.

غير أنّ الذخائر الأرضيّة متناهية محدودة تنفد بالسيلان وبنفادها وإمساك السماء عن الإمطار ينقضي الطوفان وتتحدر المياه إلى البحار والأراضي المنخفضة وإلى بعض الخلاء والسرب الموجود في داخل الأرض الذي أفرغته السيول بالتفجير والمص.

النتيجة

وعلى ما قدّمناه من البحث الكلي يمكن أن ينطبق ما قصه الله تعالى من خصوصيّات الطوفان الواقع في زمن نوح على نبيّنا وآله عليه السلام كقوله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾.[القمر:١٢]

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾. [هود:٤٠]

وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾.[هود:٤٤]

وممّا يناسب هذا المقام ما نشرته جريدة كيهان المنتشرة عام ١٩٦٢ المطابق لغرة ربيع الأول ١٣٨٢ الهجرية القمرية عن آسوشتيدبرس في طهران ملخصه: أنّ جماعة من رجال العلم من أمريكا بهداية من بعض رجال الجند التركي عثروا في بعض قلل جبل آرارات في شرقي تركيا في مرتفع ١٤٠٠ قدم على قطعات أخشاب يعطي القياس أنّها قطعات متلاشية من سفينة قديمة وقعت هناك تبلغ بعض هذه القطعات من القدمة ٢٥٠٠ قبل الميلاد.

والقياس يعطي أنها قطعات من سفينة يعادل حجمه ثلثي حجم مركب (كوئين ماري) الإنجليزية التي طولها ١٠١٩ قدماً وعرضها ١١٨ قدماً، وقد حملت الأخشاب إلى سانفرانسيسكو لتحقيق أمرها وأنها هل تقبل الانطباق على ما تعتقده أرباب النحل من سفينة نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام.

السيد محمد الموسوي

زواج النـــور من النور

قد اشتهر في روايات المخالفين والموافقين وتواتر في طرق المحبين والمبغضين عن الأصحاب والتابعين بألفاظ مختلفة ومعان متفقة أن أبا بكر وعمر خطبا فاطمة عليها السلام فقام النبي صلى الله عليه وآله بردهما.

وروى جماعة أيضاً أنّ جملة من الصحابة خطبوها فردهم النبي حتى خطبها عبد الرحمن بن عوف فلم يجبه النبي فقال عبد الرحمن زوجنيها بكذا من المهر فغضب النبي صلى الله عليه وآله ومدّ يده إلى حصى فرفعها فسبحت في يده وجعلها في ذيله دراً ومرجاناً يعرض به جواب المهر.

وعن مولانا الإمام الصادق عليه السلام أنه دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام فقال: «يا علي أبشر فإنّ الله كفاني ما كان من همي تزويجك فاطمة أتاني جبرئيل ومعه من سنبل الجنة وقرنفلها فناولنيها فأخذتها وشممتها فقلت ما سبب هذا السنبل والقرنفل قال إنّ الله تعالى أمر سكان الجنة من الملائكة ومن فيها أن يزينوا الجنة كلها بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصورها وأمر ريحها فهبت بأنواع العطر والطيب وأمر حور عينها بالقراءة فيها (طه ويس وحمعسق) ثم نادى منادٍ من تحت العرش أنّ اليوم يوم وليمة علي عليه السلام ألا إنّي أشهدكم أني قد زوجت فاطمة من علي رضى مني ببعضهما لبعض ثم أمر الله سحابة بيضاء فقطرت من لؤلؤها وزبرجدها وياقوتها وقام الملائكة تلتقط من سنبلها وقرنفلها وهذا مما نثرت الملائكة».

وفي خبر آخر رواه جابر وأبو هريرة وهو المروي عن علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام «بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجهاً فقال صلى الله عليه وآله حبيبي جبرئيل لم أرك في هذه الصورة قال الملك: لست بجبرئيل أنا محمود بعثني الله أن أزوج النور من النور قال: من وممن؟ قال: فاطمة من علي فلما ولى الملك وإذا بين كتفيه محمد رسول الله علي وصيه فقال رسول الله صلى الله عيه وآله: منذ كم كتب هذا بين كتفيك فقال من قبل أن يخلق الله آدم باثنين وعشرين ألف عام».

وروي عن أُمّ أيمن عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خبر وعقد جبرئيل وميكائيل في السماء نكاح علي وفاطمة عليهما السلام فكان جبرئيل المتكلم عن علي وميكائيل الراد. وفي رواية أنّ الله تعالى أوحى إلى جبرئيل

زوج النور من النور وكان الولي هو الله تعالى والخطيب هو جبرئيل والمنادي ميكائيل والداعي إسرافيل والناثر عزرائيل والشهود باقي الملائكة، ثم أوحى الله تعالى إلى شجرة طوبى أن انثري ما عليك فانتثرت ما عليها وهو الدر الأبيض والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر واللؤلؤ الرطب فبادر الحور العين يلتقطن ويهدين بعضهن لبعض من تلك الجواهر ويتباركن بنكاح علي وفاطمة.

وحكى الشيخ بهاء الدين العاملي رحمه الله ما معناه: أنه رأى في مسجد الكوفة درة حمراء مكتوب عليها:

أنا در من السما نثروني ××× يوم تزويج والد السبطين
كنت أصفى من اللجين بياضاً ××× صبغتني دماء نحر الحسين

والخطبة التي خطب بها في السماء على ما هو المروي «الحمد لله الأول أولية الأولين الباقي بعد فناء العالمين نحمده أن جعلنا ملائكة روحانين وبربوبيته مذعنين وله على ما أنعم علينا شاكرين حجبنا من الذنوب وسترنا من العيوب وأسكننا في السماوات وقربنا إلى السرادقات وحجب عنا التهم والشهوات وجعل تهمنا وشهوتنا في تقديسه وتسبيحه الباسط رحمته الواهب نعمته جل عن إلحاد أهل الأرض من المشركين وتعالى بعظمته عن إفك الملحدين»، ثم قال الخطيب بعد كلام: «واختار صفوة كرمه وعبد عظمته لأمته سيدة النساء بنت خير النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين فوصل حبله بحبل رجل من أهله وصاحبه المصدق دعوته المبادر إلى كلمته على الوصول إلى فاطمة البتول ابنة الرسول».

وقال الحميري:

نصب الجليل لجبرئيل منيراً
في ظل طوبى من متون زبرجد
شهد الملائكة الكرام وربهم
وكفى بهم وبربهم من شهد
وتناثرت طوبى عليهم لؤلؤاً
وزمرداً متتابعاً لم يعقد

وروي أنه كان بين تزويج أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام في السماء إلى تزويجها في الأرض أربعون يوماً زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله من علي أول يوم من ذي الحجة وروي أنه كان اليوم السادس منه وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله خطبته في تزويج فاطمة.

رويت عن الرضا عليه السلام فقال: «الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع في سلطانه المرغوب إليه فيما عنده المرهوب من عذابه النافذ في سمائه وأرضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد، إنّ الله تعالى جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً وشج الأرحام وألزم بها الأنام قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ ثم إنّ الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي...».

وروي أنّه كان صداقها خمسمائة درهم وصححه ابن شهر آشوب. وروي أربعمائة مثقال فضة. وروي أربعمائة وثمانين مثقال فضة وهو المروي عن الحسين عليه السلام وعن الباقر عليه السلام برد حبرة واهاب شاة على غرار ما رواه عمر بن مقدام وجابر الجعفي، وروي عن الصادق عليه السلام درع حطمية واهاب كبش أو جدي رواه أبو يعلى مسنداً عن مجاهد.

وأما مهرها في السماء ففي خبر عن الباقر عليه السلام وجعلت نحلتها من علي عليه السلام خمس الدنيا وثلث الجنة وجعلت لها في الأرض أربعة أنهار الفرات ونيل مصر ونهروان ونهر بلخ وعن الصادق عليه السلام أن الله تبارك وتعالى أمهر فاطمة ربع الدنيا فربعها لها والجنة والنار فتدخل أولياءها الجنة وأعداءها النار.

وفي خبر سئل النبي عن مهر فاطمة عليها السلام فقال خمس الأرض فمن مشى عليها لها ولولدها مشى عليها حراماً إلى أن تقوم الساعة.

وعن ابن مردويه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام تكلم خطيباً لنفسك فقال: «الحمد لله الذي قرب من حامديه ودنى من سائليه ووعد الجنة من يتقيه وأنذر بالنار من يعصيه، نحمده على قديم

إحسانه وأياديه حمد من يعلم أنّه خالقه وباريه ومميته ومحييه ومسايله عن مساويه ونستعينه ونستهديه ونؤمن به ونستكفيه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغه وترضيه وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله صلاة ترفعه وتصطفيه...».

وعن أمالي الطوسي رحمه الله عن الصادق عليه السلام في خبر وسكب الدراهم في حجره فأعطى منها قبضة كانت ثلاثة وستين أو ستة وستين إلى أُم أيمن لمتاع البيت وقبضة إلى أسماء بنت عميس للطيب وقبضة إلى أُم سلمة للطعام وأنقد عماراً وأبا بكر وبلالاً لابتياع ما يصلحها وكل ما اشتروه قميص بسبعة دراهم وخمار بأربعة دراهم وقطيفة سوداء خيبرية وسريرٌ وفراشان وأربع مرافق وحصيرٌ ورحا وسقاء ومخضبٌ وقعبٌ ومطهرة وجرة خضراء وكيزان خزف ونطع من ادم وعباء وقربة ماء وعن ابن مردويه في حديثه فمكث علي عليه السلام تسعاً وعشرين ليلة فقال له جعفر وعقيل سله أن يدخل عليك أهلك فعرفت أُم أيمن ذلك فقالت هذا من أمر النساء وخلت به أُم سلمة فطالبته بذلك فدعاه النبي وقال حبا وكرامة فأتى الصحابة بالهدايا فأمر بطحن البر وخبزه وأمر علياً بذبح البقر والغنم فكان النبي يعضل ولم ير على يده أثر دم فلما فرغوا من الطبخ أمر النبي أن ينادى على رأس داره أجيبوا رسول الله وذلك قوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ فأجابوا من النخلات والزروع فبسط النطوع في المسجد وجلس الناس وهم أكثر من أربعة آلاف رجل وسائر نساء المدينة ورفعوا منها ما أرادوا ولم ينقص من الطعام شيء ثم عادوا في اليوم الثاني والثالث وأكلوا، ثم دعا رسول الله بالصحاف فملئت ووجه إلى منازل أزواجه ثم أخذ صحفة وقال: هذا لفاطمة وبعلها وكان النبي أمر نساءه أن يزين فاطمة ويصلحن من شأنها في حجرة أُم سلمة فاستدعين من فاطمة طيباً فأتت بقارورة فسألت عنها فقالت كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله فيقول لي يا فاطمة هاتي الوسادة فاطرحيها لعمك فكان إذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه فسئل رسول الله عن ذلك فقال: هذا عبير يسقط من أجنحة جبرائيل، وأتت بماء ورد فسألت أُم سلمة عنه فقالت: هذا عرق رسول الله كنت آخذه عند قيلولته عندي، وروى أن جبرئيل أتى بحلة قيمتها الدنيا فلما لبستها تحيرت نسوة قريش منها وقلن من أين لك هذا قالت فاطمة: هذا من عند الله تعالى.

قال جابر في ليلة زفت فيها فاطمة عليها السلام إلى علي عليه السلام كان النبي أمامها وجبرائيل عن

يمينها وميكائيل عن يسارها وسبعون ألف ملك من خلفها يسبحون الله تعالى ويقدسونه، وفي خبر أمر النبي بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صبحة فاطمة وأن يفرحن ويرجزن ويكبرن ويحمدن ولا يقلن ما لا يرضي الله، قال جابر فأركبها النبي على ناقته وفي رواية على بغلته الشهباء وأخذ سلمان رحمه الله زمامها وحولها سبعون حوراء والنبي وحمزة وعقيل وجعفر عليهم السلام وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم ونساء النبي قدامها يرجزن فأنشأت أُم سلمة تقول:

سـرن بعـون الله جـاراتي
وأشـكـرنـه في كـل حـالات
واذكـرن مـا أنـعـم رب العلى
مـن كـشـف مـكـروه وآفـات

فقد هدانا بعد كفر وقد
أنعشنا رب السماوات
فسرن مع نساء خير الورى
تفدى بعماتي وخالاتي
يا بنت من فضله ذو العلى
بالوحي منه والرسالات

ثم قالت عايشة:

يا نسوة استرن بالمعاجر
واذكرن ما يحسن بالمحاجر
واذكرن رب الناس إذ خصنا
بدينه مع كل عبد شاكر
والحمد لله على أفضاله
والشكر لله العزيز القادر
سرن بها فالله أعلى ذكرها
وخصها منه بطهر طاهر

ثم قالت حفصة:

فاطمة خير نساء البشر
ومن لها وجه كوجه القمر
فضلك الله على كل الورى
بفضل من خص بآي الزمر
زوجك الله فتى فاضلا
أعني عليا خير من في الحضر
فسرن جاراتي بها فأنها
كريمة عند كريم الخطر

ثم قالت معاذ أم سعد بن معاذ:

أقول قولا فيه ما فيه
وأذكر الخير وأبديه
محمد خير بني آدم
ما فيه من كبر ولا تيه
بفضله عرفنا رشدنا
فالله بالخير يجازيه
ونحن مع بنت نبي الهدى
ذي شرف قد مكنت فيه
في ذروة شامخة أصلها
فما أرى شيئاً يدانيه

وكان النسوة يرجعن أول كل بيت من كل رجز ثم يكبرن ويهللن حتى دخلن الدار ثم أنفذ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام ودعاه الى المسجد ثم دعى فاطمة سلام الله عليها فأخذ بيدها ووضعها في يده وقال «بارك الله لك في ابنة رسول الله»، ثم قال «مرجا ببحرين يلتقيان ونجمين يلتقيان اللهم إنّهما أحب خلقك إليّ فأحبهما وبارك في ذريتهما وأجعل عليهما منك حافظاً وإنّي أُعيذها وذريتهما بك من الشيطان الرجيم»، ثم خرج إلى الباب وقال «طهركما وطهر نسلكما أنا سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما استودعكما الله واستخلفه عليكما»، وباتت عندها أسماء بنت عميس أُسبوعاً بوصية خديجة إليها فدعا لها النبي في دنياها وآخرتها ثم أتاهما في صبيحتهما وقال: «السلام عليكم أدخل رحمكما الله» ففتحت أسماء الباب وكانا نائمين تحت كساء فقال على حالكما فأدخل رجليه بين أرجلهما فسأل علياً عليه السلام «كيف وجدت أهلك؟»، فقال «نعم العون على طاعة الله»، وسأل فاطمة فقالت: «خير بعل»، فقال «اللهم اجمع شملهما وألّف بين قلوبهما واجعلهما وذريتهما من ورثة الجنة النعيم وارزقهما ذرية طيبة طاهرة مباركة واجعل في ذريتهما البركة وأجعلهم أئمة يهدون وبأمرك إلى طاعتك».

وروي أنّه صلى الله عليه وآله جاء لهما بقدح فيه لبن فقال لفاطمة: «اشربي فداك أبوك»، وقال لعلي: «اشرب فداك ابن عمك».

ولله در الاصبهاني حيث يقول:

أمن بسيدة النساء قضى لها
ربي فأصبح أحسن الأختان
من بعد خطاب أتوه فردهم
رداً يبين مضمر الأشجان
حتى إذا خطب الوصي أجابه
من غير تورية ولا استيذان

كيف أحقق النجاح في حياتي

لا يوجد شيء في هذه الحياة المحدودة ثابت بالمطلق إلا شيء واحد.

لكل إنسان ما سعى! فهذا هو الشيء الوحيد الذي لا يمكن أن يتغيّر، فلن تجد إنساناً يسعى بشكل صحيح نحو الإصلاح ومن ثم يفسد، والعكس كذلك!

ولا يمكن أنّ الإنسان يعمل بشكل منظم وصحيح من أجل أن يحقق النجاح ويفشل!

واقعاً هذا أمر لا يمكن أن يحدث ضمن الإطار الطبيعي الذي نعيشه في حياتنا هذا.

والكلام هنا سيكون عن النجاح! كيف أحقق النجاح في حياتي؟

والجواب سيكون ليس كما هو معروف في الأجواء التي تطرح هكذا مواضيع في العادة بل إنّ الجواب سيكون من وجهة نظر نصوصنا الدينية كوننا أُمة متدينة، وأيضاً سيكون الجواب من وجهة نظر التجارب الإنسانية باعتبار أننا أُمة تعتبر من أخطاء نفسها وأخطاء غيرها.

فعند البحث عن كلمة نجاح في الثقافة الدينية فإنّ العناوين الأولى الرئيسية التي تظهر أمامك هي التي تتكلم عن الجنة وعن رضوان الله وعن تزكية النفس، والكلام هنا لن يخرج عن هذه المعاني أيضاً فكيف أُزكي نفسي؟ وكيف أُرضي ربي؟ حتى بالنهاية أفوز بالجنة!

والجواب واضح وبسيط جداً.

تزكية النفس يعني تطهيرها من الشوائب والأدران والذنوب، والقيام بتعطيرها بعطر الأفعال والأعمال والأفكار والمعرفة التي يريدها الله، وإذا فعل الإنسان هذا فهو يسير نحو رضا الله عنه وبالتالي سيكافئ بالجنة ويحقق بذلك النجاح الذي يريده.

والسؤال هنا كيف يمكن أن أُطهّر نفسي من أدران الأفكار والعقائد والذنوب؟ وكيف أُعطّر نفسي بعطر الأفكار والعقائد والأعمال التي يريدها الله تعالى؟

الجواب: ليكن منطلق كلامنا هو حديث الثقلين باعتبار أنّه أعطى الضمان بالهدى والهدى هو جوهر النجاح ومفتاح الفلاح فمن يكون على هدى هو الذي يبتعد عن الضلال والذي يبتعد عن الضلال فإنّه إلى الجنة بلا شك.

بعبارة أخرى أن الذي يريد الجنة لابد أن يكون على هدى ولن يكون الإنسان على هدى إلا بالتمسك بالثقلين وهذا هو وعد رسول الله صلى الله عليه وآله فمن تمسك بالثقلين لن يضل أبداً والذي لا يضل أبداً هو الذي يكون بعيداً عن أجواء إبليس ومن يبتعد عن أجواء إبليس لا خوف عليه أبداً ولا يحزن.

فما هو قول الثقلين للإنسان حتى يحقق النجاح؟

١. جاء في كلمات ثقل العترة في تفسير نصوص ثقل القرآن ما يلي: قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

ورد في تفسير هذه الآية عن أهل البيت عليهم السلام ما يلي:

أ: في تفسير علي بن إبراهيم قوله: (﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قال: نزلت في من يلحد في أمير المؤمنين عليه السلام). (تفسير القمي:٢/٨٣)

ب: جاء في الكافي عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ أنه قال: «نَزَلَتْ فِيهِمْ حَيْثُ دَخَلُوا الْكَعْبَةَ فَتَعَاهَدُوا وَتَعَاقَدُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ بِمَا نُزِّلَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَأَلْحَدُوا فِي الْبَيْتِ بِظُلْمِهِمُ الرَّسُولَ وَوَلِيَّهُ فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ». (الكافي الشريف:١/٤٢١)

ج: وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز ذكره ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ أنه قال: «مَنْ عَبَدَ فِيهِ غَيْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ تَوَلَّى فيه غَيْرَ أَوْلِيَاءِ اللهِ فَهُوَ مُلْحِدٌ بِظُلْمٍ وَعَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُذِيقَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ». (الكافي الشريف:٨/٣٣٧)

إذن بشكل واضح ومختصر وبسيط فإنّ النار والجنة والنجاح والفشل مرتبطتان بالولاية والبراءة فمن يوالي علياً وآل علي عليهم السلام فهو مؤمن والنجاح مصيره ومن يوالي غيرهم فهو ملحد والفشل نهايته.

والقرآن كله يتكلم عن هذا المضمون وحسبك آية الولاية وإكمال الدين وليس الآن كلامي بهذا الصدد بل هو مثال أخذته فقط من الكتاب العزيز!

وإلا فأنت أخي القارئ العزيز راجع تفسير العترة لآية سؤال أهل الذكر! وراجع مثلاً كلماتهم في تفسير الصراط المستقيم! وغير ذلك من الآيات التي نزلت في أهل البيت عليهم السلام

والآن نحن تكلمنا عن النجاح والفشل في الجو الديني كوننا أمة متدينة وبقي أن نتكلم عنه من جهة الاستفادة من تجارب الآخرين كوننا أُمة عاقلة تحترم عقلها: فماذا نجد في تجارب الأُمم الأُخرى يا ترى وماذا نجد في تجاربنا؟

من أبده البديهيات في التجارب البشرية هي وحدة الهدف فالذي يريد أن ينجح لابد من توحيد هدفه أولا فالإنسان المتشتت لن ينجح أبداً.

لذا يجب أن نوحد غايتنا أولاً وقبل كل شيء.

أولاً: السير بخطوات متسلسلة ومترابطة فالإنسان الناجح بعد تحديد هدفه فإنّه يسير نحوه بخطوات متسلسلة ومتوجة بالصبر فالنجاح له ضريبة وضريبته الصبر والجهد.

ثانياً: التنوع الفكري والإلمام قدر المستطاع بثقافة عصره لأنّ الإنسان الناجح هو ذلك الذي يتعلم من أخطاء الغير ولن يتصور هذا المعنى من دون أن يكون مطلعاً على ثقافة عصره وتجارب غيره.

النتيجة

إذا أردت النجاح فإنّ عليك أولاً اكتساب توفيق الله لك وهذا لن يكون من دون صك ولاية وبراءة.

فعليك أن تتوالي إمام زمانك كما يريده هو عليه السلام منك، وتعادي أعداء إمام زمانك أيضاً كما يريد ذلك.

وبعد تحقيق هذا اغفل عن أي شيء آخر وامض لتحقيق نجاحك العملي فتكون بهذا حققت نجاح الدنيا والآخرة.

فالتمسك بالثقلين أعني القرآن والعترة النبوية الشريفة هو تحقق النجاح في الحياة، فضلاً عن الوصول إلى رضوان الله ورحمته في الآخرة.

بقلم: نزار حيدر

من أسرار مناجاة التائبين

مدرسة أهل البيت عليهم السلام فيها علوم جمّة لا تعد ولا تحصى، فمن غير الممكن الإحاطة بعلومهم الغفيرة، فكل معصوم صلوات الله وسلام عليه جاء بما يناسب الظروف المحيطة به في زمانه، وتكفّل أهل البيت عليهم السلام في الحقب الزمنية التي عاصروها بجانب خاص من جوانب الحياة البشرية قد تختلف نوعاً ما عن المعصوم الآخر، مع توحيد الهدف لديهم جميعاً.

إحدى العلوم الخاصة علّمنا الإمام السجاد علي بن الحسين عليهما السلام زين العابدين، وهو الدعاء والمناجاة، وهذه الوسيلة هي لتقريب الإنسان إلى الله تبارك وتعالى أكثر.

ومن هذه المناجاة هي مناجاة التائبين، فالله تبارك وتعالى برحمته جعل للمذنب طريقاً للعودة والتوبة، ولا يقبل توبة المذنب إلا بشروط خاصة، لمّا كانت المناجاة هي إحدى الطرق للتقرب إلى الله تعالى وأنّ التائب يحتاج ما يقربه إلى الخالق عزّ وجل، فجاء عن الإمام زين العابدين عليه السلام الطريق الواضح لذلك.

الكلمات التي جاءت في مناجاة التائبين لكل منها معانٍ ودلالات تشير إلى عظمة الخالق عزّ وجل ورحمته ورضوانه وغفرانه، وأنّه يتوب على العبد بعد الذنب، بعدما قام العبد بمخالفة خالقه واتباع هواه، يقبل الله تبارك وتعالى توبته ويدخله تحت رحمته ورضوانه.

لباس الخطايا وثوب المذلّة

ورد عن الإمام السجاد عليه السلام في مطلع مناجاة التائبين قوله: «إِلَهِي أَلْبَسَتْنِي الْخَطَايَا ثَوْبَ مَذَلَّتِي».

أشار الإمام عليه السلام في بداية المناجاة بالاعتراف لله تعالى، وإقرار العبد بذنوبه وهي حالة تشير إلى فقر الإنسان وفاقته، غناه تعالى وعدم حاجته، والتذلل والانكسار بالاعتراف هو أقرب الوسائل إلى الله تعالى في الإقرار بالعبودية وعظيم الطاعة.

والإمام زين العابدين عليه السلام لا يعني أنّه صاحب الذنوب التي يجب الاعتراف بها، وإنّما أراد عليه السلام أن يتذلل لله تعالى بأشد ما يمكن التذلل والانكسار له، ومعنى ذلك أنّه مهما كانت طاعته لله تعالى فهو في الحقيقة يشير إلى التقصير مع الله تعالى، فإنّ نعمه التي لا تحصى تستحق كلّ طاعة ولم تفِ حيال ما أغدق سبحانه عليه، فضلاً عن كون الإمام عيه السلام ينطلق من درسٍ تربوي يوجهه إلى أصحابه وشيعته وأتباعه، وكل من قرأ كتابه هذا وسمعه فإنّه ينتبه إلى أن يكون الإنسان دائماً معترفاً بتقصير ما يقدمه في حرم طاعته تعالى من القلة التي لا تتناسب ونعمه التي لا تُحصى.

المعنى اللغوي

قال في القاموس: الإله: على وزن فعال بمعنى مفعول لأنّه مأولوه أي معبود ككتاب بمعنى مكتوب (الله) قيل أصله إله فحذفت همزته وأدخل عليه الألف واللام فخُص بالباري تعالى ولتخصيصه به قال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ .[مريم:٦٥]

قال الشيخ الكفعمي: واعلم أنّ هذا الاسم وهو (الله) قد امتاز عن غيره من الأسماء بأمور عشرة:

١. إنّه أشهر أسماء الله تعالى.

٢. أعلاها محلاً في القرآن.

٣. أعلاها محلاً في الدعاء.

٤. إنّه جُعل أمام سائر الأسماء.

٥. إنّه خصّ بكلمة الإخلاص.

٦. إنّه وقعت به الشهادة.

٧. إنّه علم على الذات المقدّسة فلا يطلق على غيره حقيقةً ولا مجازاً قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، أي هل أحد يسمى الله.

٨. إنّ هذا الاسم الشريف دلّ على الذات المقدّسة الموصوفة بجميع الكمالات وباقي الأسماء لا تدل آحادها ولا على آحاد المعاني كالقادر على القدرة، والعالم على العلم، أو فعل منسوب إلى الذات مثل قوله ﴿الرَّحْمَن﴾ فإنّه اسمٌ للذات مع اعتبار الرّحمة.

٩. إنّه اسم غير صفة بخلاف سائر الأسماء فإنّها تقع صفات.

١٠. إنّ جميع أسمائه الحسنى تتسمى بهذا الاسم ولا يتسنى هو بشيء منها فلا يقال: الله اسم من أسماء الغفور أو الرحيم ولكن يقال: الغفور اسم من أسماء الله تعالى وهنا تضرع إليه تعالى بأنّ ذنوبي غمرتني بكثرتها حتى أشعر أنّ المذلة صارت لي ثوباً يجللني ويغمرني.

التباعد عن الله تعالى

قال عليه السلام: «وَجَلَّلَنِي التَّبَاعُدُ مِنْكَ لِبَاسَ مَسْكَنَتِي».

قيل جللني: جلل الشيء بمعنى غطاه، أي ألبسني كما ورد في دعاء له عليه السلام: «وَجَلِّلْنِي رِضَاكَ».

والتباعد: خلاف التقارب، وهو عدم الرضا لأنّ التباعد المكاني لا يحصل فيه سبحانه لتنزيهه عن الجسمية.

ولباس المسكنة: أي لباس الذلّة والافتقار، كما ذكرنا سابقاً.

والمستكين: اسم فاعل من استكان إذا أذلّ وخضع.

فالتباعد عن الله تبارك وتعالى بسبب ارتكاب الذنوب كان غطاءً للعبد ولباس الذلة والافتقار تلبّس به.

الجناية تميت القلب

قال عليه السلام: «وَأَمَاتَ قَلْبِي عَظِيمُ جِنَايَتِي».

أثر الذنوب ينعكس على القلب حتى يتركه غير مستقيم منكوساً لا يفقه ولا يعي شيئاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾. [الحج:٤٦]

حتى لا يكاد يعقل صاحبها، قال تعالى: ﴿...بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم...﴾. [المطففين: ١٤]

والرين الصدأ الذي يعلو الشيء، وصدأ القلوب ما تعلوه من الذنوب حتى تصده عن الذكر والمعرفة بالله تعالى.

فكلما زادت ذنوب العبد كلما انكفأ قلبه على المعصية حتى صار لا يشعر بشيء من المعرفة التي تحول بينه وبين معصية الله تعالى.

وكلما مات قلبه تغطى بلباس الذلة وابتعد عن خالقه ومعبوده.

استبيان

يسر مجلتكم / مجلة الوارث التي تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة أنْ تدعوكم للمساهمة الجادة في الاستبيان الذي تقيمه، وذلك لغرض تقويم المجلة في مظهرها وجوهرها الحاليين ومن ثم إحداث قفزة نوعية في مضمونها وشكلها، ولن يتم ذلك إلاّ من خلال إسهامكم المهم في الاستبيان المذكور الذي نحاول عن طريق الاعتماد على نتائجه الوصول إلى أرقى ما تتطلبه المجلة في جميع الأبواب ولذلك نقدم لكم شكرنا وتقديرنا مسبقاً على إسهامكم في هذا الاستبيان.

- ما هي المواد التي تهتم بها أكثر في المجلة : ....

- ما هي طبيعة المواد التي تحب أن تطلع عليها أكثر: ....

- هل تستطيع أن تقيم مضمون مجلة الوارث : (جيد☐ / لابأس☐ / ضعيف☐)

- ما هي جوانب الضعف في المجلة : ....

- ما هي الجوانب التي تقترح أن تهتم بها المجلة أكثر: ....

- ما هي النقاط الإيجابية في المجلة : ....

- هل تعتقد أنّ حجم المجلة الحالي هو ملائم : نعم ☐ / لا ☐

أمل العبد في قبول توبته

قال عليه السلام: «فَأَحْيِه بِتَوْبَةٍ مِنْكَ يَا أَمَلِي وَبُغْيَتِي».

إحياء القلب التوبة وهي الاعتراف بالذنب والإقرار بالخطيئة وعدم العود بعد ذلك إلى الذنب.

فإذا أشعر الإنسان قلبه بهذا أحياه الله تعالى بلطفه ورحمته.

والأمل: الرجاء.

والبغية: من ابتغاء الشيء إذا طلبه، وبغيتي: طلبتي وحاجتي لا أطلب سواها.

أشار الإمام علي بن الحسين عليهما السلام إلى أنّ إحياء القلب لا يكون إلاّ بالتوبة، وقد وردت روايات مستفيضة وكثيرة في باب التوبة وكيفيتها وأنّ الله تعالى متى وكيف يغفر الذنب ويقبل توبة العبد منها ما يلي:

طريقة التوبة

عن الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ شُعْبَةَ عَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ أَنَّهُ قَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: الْعَبْدُ يُصِيبُ الذَّنْبَ فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فقال عليه السلام: «يَابْنَ زِيَادٍ التَّوْبَةَ»، قُلْتُ: لَيْسَ، قَالَ: «لَا» قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَصَابَ ذَنْباً قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِالتَّحْرِيكِ»، قُلْتُ: «وَمَا التَّحْرِيكُ» قَالَ: «الشَّفَتَانِ وَاللِّسَانُ يُرِيدُ أَنْ يَتْبَعَ ذَلِكَ بِالْحَقِيقَةِ»، قُلْتُ: وَمَا الْحَقِيقَةُ؟ قَالَ: «تَصْدِيقُ الْقَلْبِ وَإِضْمَارُ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى الذَّنْبِ الَّذِي اسْتَغْفَرَ مِنْهُ»، قُلْتُ" فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَنَا مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ؟ قَالَ: «لَا لِأَنَّكَ لَمْ تَبْلُغْ إِلَى الْأَصْلِ بَعْدُ»، قُلْتُ: فَأَصْلُ الِاسْتِغْفَارِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «الرُّجُوعُ إِلَى التَّوْبَةِ عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي اسْتَغْفَرْتَ مِنْهُ وَهِيَ أَوَّلُ دَرَجَةِ الْعَابِدِينَ وَتَرْكُ الذَّنْبِ...».(وسائل الشيعة:١٦/٧٨)

من آثار التوبة

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ يُوسُفَ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ بَيَّاعِ الْأَرُزِّ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ وَالْمُقِيمُ عَلَى الذَّنْبِ وَهُوَ مُسْتَغْفِرٌ مِنْهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ».(الكافي الشريف:٢/٤٣٥)

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «إِذَا تَابَ الْعَبْدُ تَوْبَةً نَصُوحاً أَحَبَّهُ اللَّهُ فَسَتَرَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، فَقُلْتُ: وَكَيْفَ يَسْتُرُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «يُنْسِي مَلَكَيْهِ مَا كَتَبَا عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَيُوحِي إِلَى جَوَارِحِهِ اكْتُمِي عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ وَيُوحِي إِلَى بِقَاعِ الْأَرْضِ اكْتُمِي مَا كَانَ يَعْمَلُ عَلَيْكِ مِنَ الذُّنُوبِ فَيَلْقَى اللَّهَ حِينَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ شَيْءٌ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنَ الذُّنُوبِ».(الكافي الشريف:٢/٤٣١)

وقت التوبة

عَنِ ابْنِ سِنَانٍ عَنْ حَفْصٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ ذَنْباً إِلَّا أَجَّلَهُ اللَّهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ فَإِنْ هُوَ تَابَ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْئاً وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ».

فَأَتَاهُ عَبَّادٌ الْبَصْرِيُّ فَقَالَ لَهُ: بَلَغَنَا أَنَّكَ قُلْتَ مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْباً إِلَّا أَجَّلَهُ اللَّهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ! فَقَالَ: «لَيْسَ هَكَذَا قُلْتُ، وَلَكِنِّي قُلْتُ: مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ ذَنْباً إِلَّا أَجَّلَهُ اللَّهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنْ نَهَارِهِ، هَكَذَا قُلْتُ». (الزهد:٧٠)

وَعَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ السَّنَةَ لَكَثِيرَةٌ مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّهْرَ لَكَثِيرٌ مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِجُمُعَةٍ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْجُمُعَةَ لَكَثِيرٌ مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ يَوْماً لَكَثِيرٌ مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ يُعَايِنَ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ». (الكافي الشريف:٢/٤٤١)

طلب المغفرة من الله تعالى

قال عليه السلام: «وَيَا سُؤْلِي وَمُنْيَتِي».

قيل سؤلي: من السؤال وهو الطلب الحثيث الذي يبتغيه السائل، وسؤلي أي لا أجد حاجةً وسؤالاً سواك حتى صرت أنت غايتي وسؤلي.

والمنية: من المنى بضم الأول وهي الغاية والرغبة التي يسعى إليها الطالب وأصله التمني القلبي الذي يدفع الإنسان لطلب ما تمناه ورغبه.

هنا بدأ العبد طلب المغفرة بالغاية والرغبة حيث إنّ بداية طلب حاجة من الله تبارك وتعالى بكلمات السؤال والطلب والرغبة والتمني أي العبد يتمنى ويرغب بقبول توبته ورجوعه إلى الله تعالى.

الاعتراف بالرحمة الإلهية

قال عليه السلام: «فَوَعِزَّتِكَ مَا أَجِدُ لِذُنُوبِي سِوَاكَ غَافِراً وَلَا أَرَى لِكَسْرِي غَيْرَكَ جَابِراً».

قيل العزّة: الغلبة و القهر، حتى صارت صفةً له تعالى، وعزّته قدرته وقوته.

لقوله تعالى: ﴿ ...أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾. [النساء:١٣٩]

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ... ﴾. [المنافقون:٨]

وعزّتك: قسمٌ بعزّته تعالى إنّه لم يجد لذنبه غافراً سواه، فكل من سواه لا تصدر منه التوبة لأنّ الأمر بيده تعالى يرحم من يشاء ويعذّب من يشاء، وبيده الملك وهو القادر على العفو والرحمة.

من الأقسام المهمة هو قسم العبد بالعزّة الإلهية وبجلالة الله، فأن يقسم المذنب بجلالة الله تعالى لقبول توبته والغفران عن ذنبه من أفضل الطرق للوصول إلى الهدف، وهو قبول التوبة.

كذلك الاعتراف بأنّ ليس هناك سوى الله تبارك وتعالى غافراً للذنوب وقابلاً للتوبة.

فعندما يستعرض العبد ذنوبه ويستشعر بانكساره، ويتوقّع بلاء ما يصيبه من العقاب يناجي ربه بقوله: (ولا أرى لكسري غيرك جابراً).

بعد أن يقسم بعزته تعالى أنّه لا يغفر الذنوب سواه، وأنّه يطلب منه تعالى أن يعفو عنه، إلا أنّ هذا الذنب يولد انكساراً في النفس للذلة التي تدخله هذه الذنوب على مرتكبها، فهو حينما يقدم على الذنب يشعر بالتأنيب والندم والأسف على هذا التفريط، لذلك يقول الإمام الباقر عليه السلام في التوبة التي يصاحبها الندم: «كَفَى بِالنَّدَمِ تَوْبَةً». (الكافي الشريف:٢/٤٢٦)

فالندم أصدق تجليات التوبة وأوضح مصاديقها، إذ الندم ينبعث من شعور الخيبة والإحباط الذي يولده الذنب، فيحطّ هذا الندم بهواجسه ومشاعره وكل إحساساته حتى لا يجد إلّا شعوراً بالتأنيب وهذا التأنيب يولد التحقير والاستصغار للنفس فيؤدي ذلك إلى الانكسار وقلة الاعتداد بنفس ارتكبت ما يخالف الجبار وهي تعلم أنّه المالك والقادر والقاهر فكيف تجترئ على مالكها ومهلكها ثم محييها، فإذا تمعن المذنب في حقارة نفسه واستكان لصغره عندها يشعر بالمذلة ومن ثم الانكسار، فضلاً عن آثار الذنوب التكوينية على توفيق الإنسان وقلة رزقه وشقائه في تحصيل حظه من هذه الدنيا، فما يواجه من نكد وبؤس وشقاء سببه آثار الذنوب، مما تجعله حقيراً في نفسه، وضيعاً في همته، لذا يشير الإمام إلى هذه الحالة ويؤكد على هذه الحقيقة ويطلب التائب أن يرجعه الله إلى حال الاستقامة والعافية فيكون ممن أجبر الله كسره، وهذا الكسر هو كسر النفس وانتقاصها حتى لكأنّه لا يشعر بكرامته واعتباره وأي كسر هذا يجعل من المذنب مخلوقاً حقيراً هائماً لا يهتدي إلى سبيل لولا أن يجيره باستشعاره بحالة التوبة التي تعيد له هذه المشاعر اعتباره لنفسه وكرامته المستباحة بذنوبه.

سيد محمد علي الحلو

صدر حديثاً
من شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الحسينية المقدسة

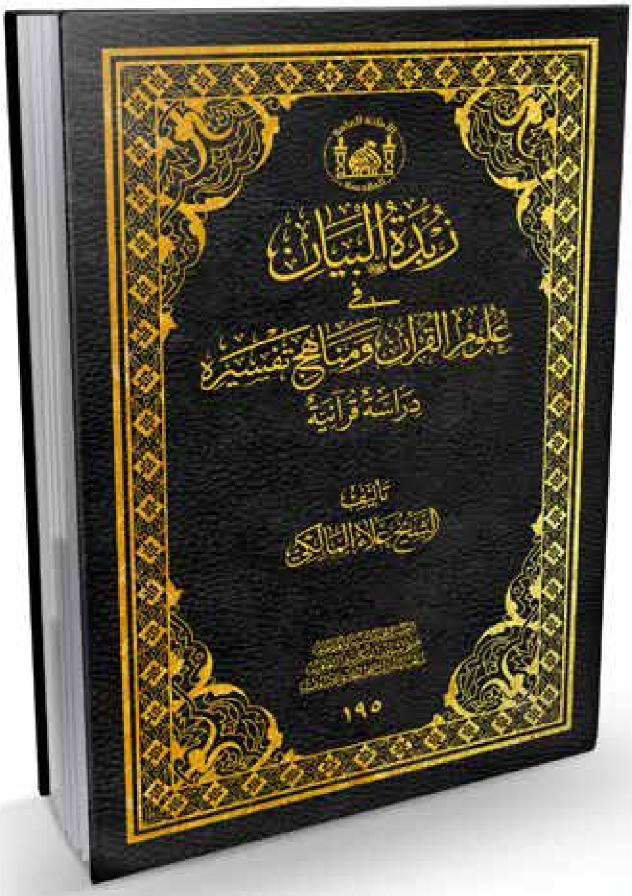

للحصول على النسخة الرقمية للمجلة امسح هذا الكود

■ **تعلن إدارة مجلة الوارث عن البدء في استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة القادمة، علماً أنَّ المقالات ستخضع للتقييم العلمي.**

يرجى إرسال الأعمال على البريد الإلكتروني التالي:

Email: dirasatislamia@gmail.com